من أجل سواد عينيها

چان چيرودو

«كلهن ساقطات إلا واحدة..
ولذلك لابد أن نسقط!»

اسم المسرحية فى اللغة الفرنسية :

POUR LUCRECE

أى «من أجل لوكريس»

الشخصيات :

جـوزيف
مارسيلليس
جيلى
باولا
أرمان
لوسيل
أوجينى
باربيت
خادم مارسيلليس
القاضى بانشار
كاتب المحكمة
خادم القاضى بلانشار
زبائن فى المقهى . .

الفصل الأول

(مدينة إكس – إن – بروفانس حوالى سنة ١٨٦٨ .
يوم من أيام الصيف . . أحد المقاهى وتحت أشجار الليمون .
الكونت مارسيلليس وجوزيف وبعض رواد المقهى) .

جوزيف : أية خدمة يا سيدى .

مارسيلليس . ماذا عندك يا جوزيف ؟ أريد أن أعرف منك معنى كلمة الفضيلة .

جوزيف : تركت المدرسة وأنا صغير ، ولذلك فأنا عاجز عن معرفة هذه الكلمة يا سيدى . .

مارسيلليس : حاول أن تعرف ، خمن ، ماذا تفهم من هذه الكلمة إذا وجهها أحد إليك !

جوزيف : أنا تحت أمرك ماذا تريد أن أقدم لك يا سيدى ؟ أنا شخصيا أفضل لك الآيس كريم المشكل . . فهو مناسب للجو . . هل تسمح لى أن أستشير مدير المحل . .

(يخرج جوزيف)

جيلى : (بائعة ورد) هل لك فى وردة يا سيدى ؟

مارسيلليس : شكرا يا عزيزتى . إننى لا أجد عندك تلك الوردة التى وضعها لى القاضى بلانشار .

جيلى : عندى زهرة الكاميليا . .

مارسيلليس : القاضى بلانشار أصر على أن يضع فى عروة بذلتى زهرة الأوركيد الدامية التى تنفث الفساد فى كل مكان .

جيلى : أقترح زهرة أخرى . . هذه أجمل أنواع الأوركيد وأكثرها انتشاراً فى بلدتنا . . خمس دقائق وسوف أحضرها لك يا سيدى . .

مارسيلليس . أحضريها إلى البيت . .

جيلى : البيت لا ! لا أستطيع يا سيدى . . فالقاضى منع كل الفتيات دون السادسة عشرة ، خصوصاً بائعات الورد والغسالات ، من الذهاب إلى بيوت غير المتزوجين ، يا سيدى !

مارسيلليس : تعالى مع أمك .

جيلى : إنها فى السجن . . حبسها القاضى بلانشار لأنها حملت بعض الخطابات من صراف المدينة إلى زوجة العمدة .

(تدخل باولا ومعها زوجها أرمان)

باولا : مساء الخير يا صاحب الرذيلة . . هل من الممكن أن نجلس بالقرب من «رذيلته» يا أرمان ؟

مارسيلليس : إذن فقد سمعت بما حدث ؟ .

باولا : الجمال هو أول من يسمع بخطايا البشر .

أرمان : وأنا كنت موجوداً فى المحكمة . .

مارسيلليس : لا أعرف بالضبط لماذا أصدر القاضى هذا الحكم ضدى .

أرمان : بهدلك ! فى نفس الوقت الذى حكم على تلك الفتاة التى ترددت عليك ثم قتلت طفلها .

باولا : ثم إنه أعلن أن مدينتنا هده أكثر انحلالاً من مدينتى صودوم وعمورة !

مارسيلليس . لكن ما الذى قاله عنى ؟ أخبرنى ما الذى قاله بالضبط ؟

باولا : قال إنهم لا يستطيعون حبسك بتهمة عدم سداد ديونك ، فأنت رجل غنى . . ولا يستطيعون طردك من الحى الذى تسكن فيه لأنك تضايق الناس ، فأنت فى غاية الذكاء والظرف . ولا تستطيع أسرة واحدة أن تتهمك بشىء ، لأنك قادر على أن تفضحها . .

أرمان : ولذلك قرر أن يتولى بنفسه تلطيخ سمعتك فى المحكمة ، وأن يغرى أى إنسان يراك بأن يبصق فى وجهك .

مارسيلليس : هذا تقرير مفصل ، وهل طالب الناس بأن يبصقوا فى وجهى ؟

أرمان : هذا بالضبط ما قاله . وقد أشار إلى مبادئك . . وجاءت على لسانه كلمة الرذيلة . .

مارسيلليس : أنت تقلده تماماً . .

أرمان : كنت ممثلاً فى شبابى . . ولذلك فأنا قادر على نقل مثل هذه المعانى بالضبط . . وأعلن القاضى أيضاً أن لديه رسالة هامة وهى ألا يترك هذه المدينة تنحدر إلى الهاوية . . ولما كنت أنت رمزاً للانحلال فى هذه المدينة ، كان لابد أن يبدأ بالقضاء عليك . .

مارسيلليس : كنت أتمنى أن أستمع إلى رأى أى زوج فى هذه المدينة . . إليك مثلاً . .

أرمان : رأيك لا يهمنى فى أزواج هذه المدينة .

باولا : كيف لا يهمك يا أرمان . لا تكن منافقاً مثل الآخرين . . طبعاً يهمك رأيه !

أرمان : لا تنسى يا عزيزتى أننى زوج . . ولا تتوقعى منى أن أهنئ رجلاً مثله . . إننى أقترح عليك أن تترك هذه المدينة . . لكى نستريح .

(يعود جوزيف)

جوزيف : الرذيلة هى الرغبة الطبيعية إلى الشىء يا سيدى . . عندنا قاموس فى المكتب . . والمدير ينصحك أيضاً بأن تجلس إلى ترابيزة أحسن من هذه . . لأن هذه محجوزة يا سيدى . .

مارسيلليس : لمن ؟

جوزيف : لا أعرف ، يا سيدى . .

مارسيلليس : بل تعرف ، هذا واضح من اضطرابك . . لمن ؟

جوزيف : لمدام بلانشار . .

مارسيلليس : زوجة القاضى ؟

باولا : بالطبع لزوجة القاضى . . ذلك الرجل الذى فضحك فى المدينة كلها . . إنها تجئ هنا كل يوم . .

مارسيلليس : هذه فرصتى النادرة ، ستبدأ المعركة ، هل عندك طبلة يا جوزيف ؟

جوزيف : عندنا طبلة من مصر يا سيدى . .

مارسيلليس : دق الطبلة دق . .

أرمان : هذه سفالة يا مارسيلليس . .

مارسيلليس : ربما ، ولكنى أعبر عن سفالتى بشىء من الفن . . وسوف ترى . .

(جوزيف يدق الطبلة وينهض مارسيلليس)

زبون : إننا مضطرون إلى الخروج من هنا . . ما هذه الضوضاء !

زبون آخر : إذا كان صاحب الرذيلة جالسا بيننا فلماذا لا يسكت . .

مارسيلليس : بل سامحونى يا سادة . . يا أبناء هذه المدينة الزموا أماكنكم . فللرذيلة رسالة لابد أن تتحقق . ولا يستطيع إنسان أن يقف فى وجه هذه الرسالة.. أما رسالة القاضى فهى أن يقدم لكم الفضيلة . . إن الفضيلة فى الطريق إليكم . . سوف ترونها لحماً ودماً . . جالسة كأنها ملكة على هذا المقعد . انظروا إليها جميعاً . . فى استطاعتها أن تلهب مشاعركم أكثر من الرذيلة نفسها . . سوف ترونها وهى تتذوق الآيس كريم بشفتين لم تعرفا سوى قبلة الزوجة المخلصة لزوجها . . سوف تسمعونها وهى تتكلم بفم لم يعرف الكذب . . ستراها يا عزيزى أرمان وهى تمسك البسكويت بأصبع لا تعرف اللعب فى الظلام . .

أرمان : ابعد عنى أرجوك !

مارسيلليس : وأهم من هذا كله يا أيتها الزوجات الفاضلات ويا أيها الأزواج المخلصون ، إن وجود هذه السيدة بيننا سيلقى الضوء على حياتكم الزوجية جميعاً . . فأينما تذهب هذه السيدة تشيع جوا من المحاكمات فى كل مكان . . ولا أعرف كيف يحدث هذا كله . .

فهى لا تستمع إلى الشائعات ، إنما يكفى أن تلمس ضعفاً فى أى إنسان ، وهى قادرة بعد ذلك على معرفة بقية الحقيقة . . انظروا إليها باهتمام شديد . . أؤكد لكم أنها لا تعرف الرحمة . . فإذا هى رفضت الاعتراف بإنسان ، فلا شك أن لهذا الإنسان عشيقة . . إنها تعرف كل رذائل الناس فى هذه البلدة !

أرمان : إنها قادمة إلينا . . أقترح أن تكف عن الكلام . .

مارسيلليس : . . . ثم إنها إذا رفضت فجأة أن تتحدث إلى زوج مسكين ، كان معنى ذلك أن زوجته تخونه ، وكل زوج من هذا النوع تراه هى مسئولاً عما حدث لزوجته . .

باولا : كفى أوجعت رأسى !

مارسيلليس : لا تتردد ، حاول أن تكلمها وأنت تعرف أى نوع من الأزواج أنت . . كلمة واحدة وأنت تعرف . . إنها محك التجربة . . حاول أن تطلب منها قطعة سكر فى نفس اللحظة التى تكون فيها مشغولاً بقراءة قصة مكشوفة ، فسوف ترفض أن تعطيك . . التقط منديلاً وقع منها ، وهى ترفض أن تأخذه منك ، إذا علمت أن لديك بعض الصور العارية فى بيتك . . جاءت بلحمها ودمها . . ستعرف الآن فوراً من ترحيبها بك إن كنت زوجاً خادعاً أو مخدوعاً !

باولا : لنغير هذه الترابيزة ولنجلس بعيداً عنها . .

أرمان : ولماذا ؟

مارسيلليس : جاءت لتجلس فى مكانى . . الرذيلة والفضيلة يلتقيان وجهاً

لوجه . ولأول مرة .. إن تعبيرات وجهها سوف تدلكم يا أبناء هذه المدينة ، عن الدور الذى يجب أن ألعبه هذه الليلة !

(تدخل لوسيل زوجة القاضى بلانشار ومعها صديقتها أوجينى)

مارسيلليس : هذه الترابيزة لك يا سيدتى .. حجزتها لك ..

لوسيل : **(تبتسم له)** شكراً !

(مارسيلليس يذهب إلى ترابيزة بعيدة)

لوسيل : مساء الخير ياجوزيف ، أنت اليوم تنحنى أكثر مما يجب ..

جوزيف : اكثر من الأمس .. عندى سبب وجيه لذلك ..

لوسيل : مهما كان السبب فستجىء لنا بالآيس كريم يا جوزيف ..

جوزيف : أكثر برودة من الأمس يا سيدتى ..

لوسيل : وأن تكون الشيكولاته أكثر سخونة من الأمس ..

جوزيف : سيكون الآيس كريم متجمداً والشيكولاته ملتهبة ..

لوسيل : بالضبط ..

جوزيف : **(يعود)** زوجتى تعد لك البسكويت ..

لوسيل : شكراً .. أبلغها تحياتى ..

جوزيف : بل شكراً لك يا سيدتى .. وسوف أقبّلها يا سيدتى أيضاً .. إننى سعيد جدا يا سيدتى ..

(يخرج جوزيف)

لوسيل : هل ضايقك شىء يا أوجينى .

أوجينى : نعم .. كنت أفضل أن يجلس معنا صديق .. صديق !

لوسيل : لا أستريح إليه ..

أوجينى : الناس جميعاً يتحدثون عن مزاجك الغريب . . عن الذى تحبين والذى تكرهين . .

لوسيل : ماذا تقصدين ؟

أوجينى : فأنا لا أراك تبعدين عن اللصوص والمتمردين . . أراك لطيفة معهم . . حتى ذلك المجرم الذى ألقى القبض عليه ، كنت تتطلعين إليه وكأنك تشفقين عليه . .

لوسيل : كان يبعث على الشفقة فعلاً . . لقد كان زوجى هو الذى حكم عليه . . وأظن أنه يكفى أن يكون فى أسرتنا قاض واحد !

أوجينى : ألاحظ أن فى استطاعتك أن تواجهى مثل هذه الأخطاء والجرائم بخفة ، وأن تتحدثى عنها كثيراً فى رشاقة وبروح عالية . . ثم فجأة تضغطين على أسنانك وتتقلص ملامحك وكأنك تحولت إلى تمثال من الحجر . .

لوسيل : ألا تعرفين السبب ؟

أوجينى : أعرف طبعاً سبب هذا التغيير المفاجئ وهو أنه لابد أن يكون أحد المواطنين الذى بلّغك أنه يعيش فى قصة حب ، قد مر من بعيد . .

لوسيل : ليس صحيحاً ما تقولين . .

أوجينى : لابد أن تكون سيدة عاشقة فى طريقها إلى موعد غرام أو أن شابا رفع يده لتحيتنا ، وهو فى طريقه إلى مكتب البريد ليتسلم رسالة غرامية . .

لوسيل : هل تتعمدين الكذب لإيلامى ، أما إنك تكذبين فقط ؟

أوجيني : . . حتى لو غطت المرأة جسمها حتى عنقها ، وكانت فى غاية الاحتشام ، فإنك لا ترين من جسمها إلا أماكن القبلات المحرمة . . وكأنك عندما تنظرين إلى مجوهرات أسرة غنية لا ترين منها إلا كل ما هو زائف . . انت تجعلين الحياة مستحيلة فى هذه المدينة . .

لوسيل : وما علاقة هذا بالمدينة ؟

أوجيني : قبل مجيئك إلى هذه المدينة ، كانت عشا للحب . . وكان نصف المجهود الذى يبذله الناس فى حياتهم مخصصاً للحب . . ولو مشيت وراء أى رجل أو أية امرأة فى هذه المدينة لوجدت نفسك إلى حيث يكون الحب . .

لوسيل : هذا معنى غريب للحب . .

أوجيني : بل المعنى الحقيقى . . ففى استطاعتك أن تسميه : الرغبة . . المطاردة . . الغيرة . . السعادة . . اليأس . . للحب أسماء كثيرة . .

لوسيل : ليس هذا رأيى ! فالحب اسمه الحب . . ولا يمكن أن يكون له اسم آخر . .

أوجيني : لقد وهب الحب مزايا كثيرة لهذه المدينة . . فالأزواج كانوا يثقون فى زوجاتهم . . وكانت الأمهات حريصات على أن يطبقن عيونهن . . حتى الملذات الصغيرة فى الحياة كانت تمر بنا باهرة لأنها ولدت فى دنيا الحب . . كان جو هذه المدينة يقطر بالحب كالمطر دون أن يضيق به أحد . . لقد تركت الأمراض للمدن

الأخرى . . واحتفظنا لأنفسنا بالحب . . إلى أن جئت أنت وزوجك . . القاضى ليونيل . . ليونيل ولوسيل . .

لوسيل : نعم . . ليونيل ولوسيل اللذان يعيشان فى حب بلا تعقيد . .

أوجينى : بل اللذان جاءا من مدينة أنجبت من رجال الدين أكثر مما أنبتت من زهور الحب . . وكان زوجك ناجحاً . . وكان زوجاً فاضلاً وقاضياً عادلاً . . ومنذ الشهر الأول من إقامته فى هذه المدينة استطاع أن يلتقط خيوط الحياة فى هذه المدينة . . وانتشرت فى المدينة قصة حبه لزوجته . . ومواعظه ضد الانحلال فى المدينة ودخل السجن كل الخاطئين من الأزواج الذين كانوا يعيشون فى سعادة . . وسخر منه الناس لأنهم يفهمون مالا يفهم . . ولكنك أنت بالذات قد جلبت معك المحنة لنا جميعاً . .

لوسيل : أنا جلبت المحنة ؟

(يعود جوزيف)

جوزيف : الآيس كريم يا سيدتى . .

لوسيل : شكراً .

جوزيف : زوجتى . .

أوجينى : أوجعت دماغنا بزوجتك هذه . . كفى

جوزيف : آسف يا سيدتى . .

(يخرج جوزيف)

أوجينى : لقد جعلت للملذات البريئة طعم السم على شفاه الناس . . إنهم يرون أنك مخطئة لأنك أعدت تقديم الخطيئة الأولى إلى هذه

المدينة . . لست فى حاجة إلى أن تجعلى نفسك لوكريس القديمة التى كانت هى السيدة الفاضلة الوحيدة فى بلدتنا . . لست فى حاجة إلى أن تكونى مجالاً للشر . .

لوسيل : ومع ذلك فلم يتغير من هذه المدينة شىء . .

أوجينى : ما الذى ترينه فى هؤلاء الناس الذين يجعلونك تتحولين فجأة إلى تمثال من الحجر . .

لوسيل : إننى أرى الحشرات والزواحف تمشى على أجسادهم . .

أوجينى : موهبة شاذة !

لوسيل : إننى أعلم جيداً إننى لوكنت قديسة ما شعرت بالاحتقار لهؤلاء الناس . . ولكنى لا أستطيع إلا أن أحتقرهم . . فعلى جسم كل إنسان شرير أرى هذه الحشرات . .

أوجينى : وهل هى حشرات من نوع واحد ؟

لوسيل : ليست من نوع واحد . . أحياناً حشرات صغيرة . . وأحياناً كبيرة . . أراها تخرج من أفواههم وتزحف على أجسادهم . .

أوجينى : وهل كنت ترين بعض هذه الحشرات تزحف على جسم صديقى الذى رفضت أن يجلس معنا ؟

لوسيل : نعم حشرة صغيرة .

أوجينى : فى يده . . ولذلك رفضت أن تصافحيه ؟

لوسيل : لا . . بل على فمه .

أوجينى : انت خرجت علينا من العصور الوسطى . . وهل رأيت شيئاً من هذه الحشرات على جسم جارتنا عندما رفضت أن تمدى لها يدك ؟

لوسيل : بل رأيت فى جانب من يمينها حشرة صغيرة . .

أوجينى : هل صحيح ما تقولين ؟ . . أو أنك أمعنت فى السخرية ؟ وهل إذا قابلت إنساناً يعجبك سلوكه فى الحياة ، فما الذى تجدينه فوق جسمه ؟

لوسيل : إنى أرى مشاعر شفافة تحت جلده . . أرى عينيه صامتتين كالماء . وأرى عظامه بيضاء كالعاج .

أوجينى : ألاحظ أن أخلاقياتك جسمية بصورة غير عادية

لوسيل : إن أجسامنا هى التى أعطاها لنا الله لكى نحرص عليها . . أما أرواحنا فهو وحده الذى يتولاها . .

أوجينى : يدهشنى لو أنك نظرت فى يوم من الأيام إلى جسمك . . هل بلغت بك الجرأة فى يوم من الأيام فنظرت إلى جسمك فى المرآة ؟ ألا تضعين نفسك فى جوال عندما تنامين إلى جوار زوجك !

لوسيل : إننى أُكِنُّ احتراماً شديداً لجسمى . . إنه سليم مخلص ومعقول . . إننى أبعده عن هذه المقبرة التى تدفن فيها أجسام الزوجات الخائنات . . من هذا الذى تبتسمين له . .

أوجينى : إنها باولا . . هل تعرفينها ؟ إنها تحييك .

لوسيل : مستحيل . .

أوجينى : لا تكونى عنيدة أرجوك . . باولا سيدة مرحة وجميلة .. ولست فى حاجة إلى أن تحييها بيدك يكفى أن تحنى رأسك لجمالها . .

لوسيل : الجمال الذى يتخذ لنفسه عشيقاً لا يعجبنى

أوجينى : لابد أن هناك حشرة أخرى تخرج من أذنيها ؟

لوسيل : بل ألوف الحشرات . .

أوجينى : زوجها يبتسم لك . وبإصرار . .

لوسيل : الرجل الذى اتخذت زوجته عشيقاً يجب ألا يبتسم . . فابتسامته إهانة . .

أوجينى : ولكنه لا يعرف شيئاً عن خيانة زوجته . . أنت تعرفين زوجها . . إنك كنت معجبة به اليوم فى الصباح ولو علم الآن لقتل نفسه ، أو قتل إنساناً آخر . .

لوسيل : ولماذا لا يعرف ؟ إن كل شىء يصرخ حوله . . وإذا لم يكن قادراً على أن يعرف ذلك من هذا الجو الذى يحيط به ، فهو مخطئ يستحق الاحتقار مثل الآخرين . .

أوجينى : لا تنفعلى . . فقد يرى ذلك على وجهك . .

لوسيل : من الصعب على وجهى أن يكذب . ولهذا فأنا أنظر إليه أحياناً فى المرآة .

أوجينى : أرجوك ردى التحية . لقد امتقع وجهه . وزوجته باولا فى شدة الغضب . . إن أرمان يعرف بالضبط ما الذى يجعلك ترفضين أن تسلمى على صديقى ، ويعرف لماذا تتوقفين عن الكلام فى حضور أى زوج . . أرجوك !

لوسيل : إنه يجعلنى خرساء صماء عمياء . .

أوجينى : إنه قادم إلينا . . قولى له أى شىء . . كلمة أو كلمتين . . إننى لا أطلب إليك أن تلمسيه !

لوسيل : لا فرق عندى . . فأنا إذا كلمته فقد لمسته أيضاً . . وعلى أى

حال ، وبعد هذه المناقشة ، ليس على لسانى إلا كلمة الحب . .
فلا تطلبى منى أن أكلمه .

أوجينى : مسكين أرمان ، إنه يتحدث كأى شاعر غنائى ، والآن يجىء ليواجه الموت . .

(يقترب أرمان من الترابيزة)

أرمان : تحياتى لسيدتى العزيزة . .

أوجينى : شكرا يا أرمان . تحياتك مقبولة . .

أرمان : تحياتى لك يا أوجينى . . فأنت أيضاً تستحقينها يا سيدتى مدام بلانشار ؟ إنه لمنظر رائع أن أراكما معاً . . سيدتين جميلتين . .

أوجينى : إننا نفصل فساتيننا عند ترزى واحد يا أيها العزيز ؟

أرمان : رائع جدا . . كأن الجمال لا يستطيع أن يعبر عن نفسه إلا فى جسمين مختلفين وروحين مختلفتين ؟

أوجينى : لا يمكن أن يكون كلامك أجمل لو نظمت فينا قصيدة يا أيها العزيز أرمان ؟

أرمان : أعتقد أن الجمال لا يكفيه أن يتحدث بفم واحد . . اثنان من الأفواه ، وصوت واحد !

أوجينى : بعض الرجال يعتقدون أنه من الحكمة أن يسكت نصف النساء . .

أرمان : ومع ذلك فإنى أطلب إلى صديقتك أن تخبرنى لماذا لا ترد تحية زوجتى ؟

أوجينى : لا أعتقد أنها رأتها . .

أرمان : وهذا يجعلنى أطلب من صديقتك أن تخبرنى لماذا أصبحت زوجتى شيئاً لا يرى ، مع أنها لا تبعد عنى إلا خطوات وترتدى فستاناً أحمر ، وتبتسم لها بكل وجهها وفى مواجهتها تماماً ؟ إننى لم أرها من قبل تبتسم بكل هذه الحرارة .

أوجينى : إن صديقتى غارقة فى تأملاتها الفلسفية . وإلا لرأت أجمل رجل فى مدينتنا وقد أصبح غيوراً . .

أرمان : إنما أنا أردد ما تقوله كل المدينة . . إن المدينة قد ضاقت بهذا التجاهل الذى تتعمده مدام بلانشار . . عندما لا تنطق وعندما لا ترى .

أوجينى : نحن فى غاية الأسف ، إنه شىء لا علاج له .

أرمان : بل هناك علاج . يقولون إنها سوف تتكلم من الشروق إلى الغروب ، بل سوف تتحدث فى أحلامها ، لوكان فى هذه المدينة زوجان .

أوجينى : لا أفهم ماذا تقول . .
بلا رذيلة !

أرمان : بل تفهمين . . ولأنك انت المكلفة بالكلام ، فأنت أيضاً المكلفة بالكذب . . وما دمت انت ستقومين بدور المترجم ، فأرجوك أن تخبرى صديقتك أن تكف عن هذا الصمت . . فإذا أصرت على الصمت ، فمعنى ذلك إما أننى زوج مخدوع وإما أننى زوج خادع . . لكنى أعلم أننى زوج مخلص . .

أوجينى : هل أنت متأكد من هذا ؟

أرمان : بل حريص منذ وقت طويل على أن أصرخ من أعلى مكان إننى أحب زوجتى . . وليس من المألوف أن يعلن الإنسان أنه يحب زوجته فى مدينة كهذه . . ولكن أشكر صديقتك على أنها أعطتنى هذه الفرصة .

أوجينى : لا ترفع صوتك . . فزوجتك تنظر إليك . .

أرمان : بل أتمنى أن تسمعنى . . فأنا أحب . . قبل كل شىء لا تضحكى . . فالإنسان يجب ألا يتكلم ببساطة عندما يكون فى حالة اعتراف أمام الرأى العام . إنما الإنسان يحتاج إلى كلمات رنانة . . شكراً لها . . لقد أصبحت أحب كل شىء . . فالعالم والزمان والمكان قد استسلم بسببها . . فمن أجلها أتحرك ؛ وبها أتنفس ، فهى بالنسبة لى كل دقيقة فى كل ساعة . . إنها شمس السماء . . بل هى المجموعة الشمسية كلها . . إنها السبب الوحيد الذى يجعلنى أحب . وهذا هو السبب الذى يجعلنى أحرص على أن تتكلم مدام بلانشار . .

أوجينى : إنك تصر بشدة . . وهذا لا يشجعها على الكلام معك . .

أرمان : . . إذن لتقل أية كلمة تعجبها دعيها تحدثنى عن الطقس . . دعيها تسألنى إن كان الجو سيكون لطيفاً هذا المساء . . وسوف ترى أن السماء ستكون صافية تماماً . .

أوجينى : لقد كنا نتحدث عن الطقس عندما جئت إلينا ، وليس هناك ما يمكن أن يقال عن الطقس . .

أرمان : إننى لا أطلب منها إحساناً . لا أريدها أن تكذب . .

أوجينى : اسمع يا أرمان . . انت يجب أن تفرح فقد ظهرت أخيراً على الأرض امرأة لا تريد أن تنطق بشىء لأنها لا تجد ما تقوله ، وتريد أن تتحول إلى تمثال عندما تريد . . وأنت لا تزال تطاردها بأسئلتك السخيفة .

أرمان : لوكانت تمثالاً لأجابنى فى هذه اللحظة !

أوجينى : لوكلمتك لوسيل فلأنها تعتقد أنك مثل الآخرين غبى وأنانى وعاجز عن تقدير حرصها على الهدوء النفسى .

أرمان : إذن انسحب . . لتعود مدام بلانشار إلى حديثها معك . . شكراً لك يا سيدتى ؟

(ويعود إلى زوجته)

أوجينى : فى استطاعتك الآنَ أن تهنئْ نفسك على أنك احتفظت بين شفتيك بكلمة الحب آمنة مطمئنة كأنها قطعة من الجليد . .

لوسيل : إنها لم تذب . .

أوجينى : ولكن افرضى الآن أنه صفع باولا على وجهها أمام الناس ، هل فى استطاعتك أن تقولى له إنه أحسن صنعاً ! أو افرضى أنه قتلها ؟

لوسيل : لا تخافى عليه ، إنه لن يفعل ذلك ، فقد كان يمثل أحد أدواره . .

أوجينى : ولكن من المؤكد أنها لاتمثل دوراً مثله . . سوف تتأكد هى من أنك تعرفين ذلك . . مسكين يا أرمان ! ما الذى كنت تفعلينه اليوم لتكونى بهذه القسوة على كل الأزواج . .

لوسيل : لا شيء . . فقد عانقت زوجي وضممته إلى صدري . . ثم غسلت عدداً من الأطباق الصيني وقرأت قصيدتين من الشعر الفلسفي . . ثم جلست أكتب له خطاباً أخبره فيه بأنني غسلت الأطباق وأنني قرأت الشعر . .

أوجيني : لقد عاد مرة أخرى . .

أرمان : نعم عدت عندما يتحدث الرجال إلى امرأة ؛ فإنهم يريدون أن يتأكدوا إن كان أحدهم قد نسي قفازه أو عصاه . . أما أنا فقد تركت حياتي على هذه الترابيزة . . حياتي كلها يا عزيزتي أوجيني .

أوجيني : وقفازك أيضاً . . وهذا يكفي . .

أرمان : **(يستعيد قفازه)** شكراً . .
لقد وجدتها . . ووجدت أن زوجتي لم تخدعني أيضاً . .

أوجيني : يا إلهي ما هذا الذي تقوله !

أرمان : إن زوجتي لم تخني . . إنما جئت أسأل مدام بلانشار ، لماذا هي لا تنطق . .

أوجيني : إنها سوف تلقي قصيدتين من الشعر الفلسفي في حفلة الأسقف غداً مساء . . فلا تضايقها .

أرمان : فهمت . . وأعتقد أنها استطاعت أيضاً أن تعد من واحد إلى مليون ، وأن تبدأ من الواحد في كل مرة يقاطعها إنسان ! ولكن زوجتي لم تخني !

أوجيني : إذن فكان من الواجب أن تفعل . . إنك لإنسان غريب !

أرمان : إنى على كل حال قادر على التنبؤ. فكثيراً ما تنبأت بقدوم الموت وبوقوع الحوادث المفزعة ، والحوادث السعيدة أيضاً . ولكن لم أشعر قط بالقلق أو بالفزع فى كل مرة أفكر فى باولا ، وكثيراً ما تحدثت إلى نفسى بصوت مرتفع فى الطريق وأروى لنفسى حقائق لم تقع من قبل . . ولم يحدث قط أننى سمعت نفسى تقول : زوجتك لها عشيق ، يا أرمان زوجتك لها عشيق يا أرمان . . وهذا معناه أن زوجتى ليس لها عشيق !

أوجينى : إذا لم تسكت ، فسوف نترك لك هذا المكان !

أرمان : لن يحدث . . فليس فى نية مدام بلانشار أن تترك المكان . فهى ليست من ذلك الطراز الذى ينسحب من أى موقف . . فهى تحتفظ برأيها لنفسها ، حتى لو أدى ذلك إلى قتلها ، ولكن لا يوجد أى سبب الآن لكى تحتفظ بهذا الصمت . . وسأخبرها عن السبب . . لأننى شبيه بها تماماً . . فأنا أنفر من كل ما يضايقنى وأنفر من كل ما يقلقنى وأنا مثلها أيضاً ، أقف صامتاً عندما أتطلع إلى خداع الناس وإلى خطاياهم . فأنا قد أتجاوز عن كل إسراف عاطفى أو جموح فى خيال زوجتى ولكن لم أر خطيئة . . إنها تحتسى الآن قهوتها كأية امرأة بريئة . . وتتناول البسكويت كأية امرأة شريفة . . وتشرب الماء كأية امرأة طاهرة لم تلمس فى حياتها رجلاً آخر غير زوجها !

أوجينى : ومن الذى يشك فى هذا ؟ لا أحد !

أرمان : بكل تأكيد لا أحد ! ثم إن زوجتى لو كانت خائنة ، لعرفت

ذلك من ساعة مضت . . فأنا من عادتى أن أعود إلى البيت مرة كل يوم بصورة مفاجئة ، وأفتح الباب فى هدوء ، لا لكى أباغت زوجتى – لا سمح الله – ولكن لكى أباغت البيت نفسه . وقد حدث هذا من أقل من ساعة . فلم أجد إلا البراءة نفسها فى كل مكان . . وأنت تعرفين أن هوايتى هى جمع التحف . . ولو حدثت أية تغيرات فى بيتى لتغيرت أوضاع هذه التحف الجميلة ، فهناك تحف مصنوعة من خشب الورد والأكاسيا . . فلو حدثت خيانة فى البيت لتغيرت مادتها وأصبحت كالحة اللون . . وهناك تحف أخرى لا تزال من الفضة اللامعة ، فلو حدثت خيانة فى بيتى لتغيرت وأصبحت نوعاً من المعادن الداكنة ، ولا تزال مياه أنهار أوروبا تنساب أمام عينى ، وكذلك المياه الهادئة فى آسيا تنساب موسيقية الأمواج فى أذنى . . هكذا كل شيء على ما يرام يا أوجينى . .

أوجينى : كفى إصراراً يا أرمان . . كفى !

أرمان : ليس إصراراً . . بل إننى أصر على عدم الإصرار ، ولكن هناك شيئاً واحداً أريد أن أقوله لمدام بلانشار أنه شيء لا تعرفه . . فهى لا تعرف أننى أنا الذى خلقت باولا زوجتى ، وأنا الذى خلقت مزاجها وذكاءها ، وكل أساليب حياتها ، لم تقرأ إلا ما قرأت . . ولم تر من الصور ومن المناظر إلا ما أطلعتها عليه . . لا لأنها عاجزة عن القيام بهذا كله من تلقاء نفسها ، بالعكس ففيها موهبة وأصالة . . ولكنها شاءت أن تترك لى نفسها لكى أعيد خلقها من

جديد فهى تأكل وتشرب وفقاً لذوقى وتلبس وتخلع وفقا لذوقى . . فأنا الذى صنعت أيامها ولياليها وصنعت لحمها وعظمها . . وأظن أنه من الممكن أن تتصور مدام بلانشار أننى لم أخلق مثل هذه الزوجة لكى تخوننى !

أوجينى : أيها العزيز أرمان .. هلا كنت جاداً مرة واحدة .. اجلس معنا . . ودعنى أقدم لك بعض الآيس كريم . .

أرمان : هذا كل ما أردت أن أقوله . . فقط أريد من مدام بلانشار أن تنطق بكلمة . . إننى أعلم أنه من الطبيعى أن تجد المرأة فجأة أن الكلام صعب وأنه شىء معقد !

أوجينى : أخيراً قلت شيئاً معقولاً . .

أرمان : أستودعك الله يا سيدتى . . إننى عائد إلى حيث الوفاء والحب والسعادة . . ولن أترك زوجتى أبداً . .

أوجينى : نراك غداً يا أرمان . .

أرمان : (**راجعاً**) إننى ما أزال أطمع فى شىء من مدام بلانشار . . ربما بدا من المستحيل أن تتكلم ، ولكن ليس من المستحيل أن تشرب . . فليس أسهل من أن أرفع كوبا من الماء فى صحتها . . فإذا أرادت مدام بلانشار أن تقول إننى على حق ، فهل توافق على أن ترفع كوباً من الماء إلى فمها دون أن تنطق بكلمة واحدة ؟ . . وأحب أن أقول لها إن الجو حار جدا ، وإنه من الأفضل أن يكون الماء بارداً . .

أوجينى : غدا نراك يا أرمان . (**وينظر أرمان إلى لوسيل التى لا تشرب ويتركها ..**

وبعد أن يبعد عنها ، تمتد يد لوسيل لا شعوريا وترفع كوبها الى شفتيها .. ولا يكاد أرمان يرى هذا المنظر حتى يشعر بالسعادة ، ثم تكسر الكوب فيضطرب أرمان .. ويطبق عينيه) .

أوجينى : هل تدرين ماذا فعلت الآن ! إنك تثيرين فضيحة ، ومأساة حقيقية . . لقد كان أرمان ببغاء له ألف لون ، وله ألف عين عمياء فى جناحيه . . وأنت الآن تفتحين هذه العيون وبوضوح . وتجعلينها قادرة على الرؤية .

لوسيل : هذا أفضل . . فلنجعل هذه العيون ترى . .

أوجينى : إن تحذير الزوج من زوجته مثل إطلاق سراح شخص كان يعمل مساعداً لأحد الحواة . فنى لحظة واحدة سوف يرى أرمان عشيقاً أمام كل عين من عيونه وسوف تتحطم زوجته . . سوف تنهدم حياتها تماماً !

لوسيل : مادامت تستحق ذلك فما المانع . .

أوجينى : إن الحياة صعبة لنساء من مثل باولا . . فهن حريصات على أن يكن عذراوات لكل رجل جديد . . فلهن عشرون قصة حب ، وجسم واحد فقط !

لوسيل : بل عشرون جسماً وليس لهن حب واحد !

أوجينى : من الجنون أن أستمع إليك تتحدثين عن الفضيلة فى مقهى ، تماماً كشهيد يتحدث عن تضحياته فى ملعب لكرة القدم . . إن باولا هذه شرسة . وهى لذلك فى غاية الخطورة .

لوسيل : إنك تبعثين على الضحك عندما تذكرين كلمة الفضيلة . .

فما الذى قلته أنا عن الفضيلة أو عن الأخلاق الفاضلة !

أوجينى : إذن فلنستخدم كلمة أخرى غير الفضيلة . . الطهارة مثلاً !

لوسيل : كلمة جميلة .

أوجينى : لا علاقة للكلمات بهذا كله .

لوسيل : بالنسبة لى هناك علاقة . . وسوف أخبرك أى هذه الكلمات أعنى . . فكلمات مثل النافذة والينبوع والكريستال والصفاء كلها كلمات متقاربة المعنى والدلالة . . عبثاً . . لا تغالطى . . لا تطلبى منى أن أشفق على زوجة خائنة وزوج مغفل . . عندما تكون هناك فى الدنيا كلمات مثل الصدق والبراءة . . يجب أن تفعلى مثلى يا أوجينى ، وأن تقللى من ثقتك بلغتك . . ولهذا فأنا سعيدة عندما أفتح عينى كل صباح على عدد من الألفاظ الشعرية التى ترفعنى إلى السماء !

أوجينى : ألا ترين أن كلمة الحب قد أصبحت مبتذلة ؟

لوسيل : لا أرى ذلك . . قولى هذا لأرمان لقد ظهرت له هذه الكلمة . . وسوف ترين قوة تأثيرها عليه الآن .

(وينهض أحد الرجال الجالسين فى المقهى ويقترب من السيدتين . ويركع على إحدى ركبتيه ويتظاهر بربط حذائه ويقول لهما) :

أريد أن أتكلم معكما دون أن يلحظ ذلك أحد . . إننى حامل الصولجان فى المحكمة التجارية . . والأمر هام جدا . .

أوجينى : تظاهر بأنك تبحث عن قطعة ذهبية . .

الرجل : وأنا أريد أن أبحث فقط عن قرش ، فهذا طبيعى أكثر .

أوجينى : إذن . . فماذا تريد !

الرجل : يا مدام بلانشار أرجوك أن تكلمى مسيو أرمان . . إنه شخصية رائعة . . وإلا قتل نفسه !

أوجينى : ربما كان هناك تحت المنضدة .

الرجل : ما هو هذا الذى ربما يكون تحت المنضدة .

أوجينى : ليس أنت إنما هو هذا القرش المزعوم الذى تبحث عنه . . وماذا أيضاً ؟

الرجل : ومدام باولا كانت لها غريمة من قبل . . وقد حاولت أن تخطف زوجها منها . .

أوجينى : ليس هذا ما تفعله !

الرجل : بل هذا ما تفعلينه بالضبط . . إنك لا تأخذينه لنفسك ، ولكنك تأخذينه من زوجته . . وأنا لا أقصدك يا مدام أوجينى . . والشخص الذى أقصده سوف يدفع الثمن . . والمدينة كلها تعرف مقدار العذاب الذى عانته غريمة باولا . .

أوجينى : أهذا كل ما تريد أن تقول ؟

الرجل : فى استطاعتى أن أضيف ثلاث قصص أخرى لولا أن ظهرى به ألم يوجعنى . . فمن الصعب أن يجد الإنسان قرشاً لم يقع منه (**ويذهب**) آه وجدته أخيراً . . شكراً . . (**يذهب بعيداً**) . .

أوجينى : هل سمعت ما قاله الرجل ؟ . أرجوك . . سوف يعود أرمان مرة أخرى . . وكل ما قاله الرجل صحيح أن باولا عنيدة جدا . . كلمى زوجها . . أو هيا بنا نغادر هذا المكان .

لوسيل : هذا الرجل جاء فى الوقت المناسب . . إلا لكنت نهضت . .

أوجينى : هل معنى ذلك أنك تصرين على البقاء هنا . .

لوسيل : ألم يحدث قط أن شعرت برغبة داخلية ، بأن تذهبى إلى غرفة البواب ، فى نفس الوقت الذى قدرت أن تذهبى إلى الصالون ؟ أن غريزتى تأمرنى بأن أعود إلى البيت ، فعندى ما أفعله فى البيت . . عندى غسيل وطبيخ . . ولكن إحساساتى الخاصة تمسكنى لكى أبقى هنا . .

أوجينى : إذن فلنبق . . وسوف نكتشف بعد ذلك ما هو الدور الخطير الذى يلعبه العناد فى هذا العالم الحزين .

لوسيل : بل ما هو الدور الذى تلعبه الكرامة فى حياة الإنسان . .

(ويعود أرمان) . .

أرمان : ألاحظ أن مدام بلانشار قد عثرت على صوتها أخيراً . . لا بد أنها قد فرغت من ترديد قصائدها الفلسفية . . وإنها كانت قد فرغت من العد من واحد إلى مليون من أجل هذا عدت . .

أوجينى : كما ترى قد فعلت ذلك ثلاث مرات . .

أرمان : ليس كثيراً . . لقد رأيت قطة يغرقونها فى الماء ثم تعود إلى الشاطئ اثنتى عشرة مرة . . وأعتقد أن مدام بلانشار لن تفعل ذلك مرة رابعة !

أوجينى : إن صديقى يؤكد لك أن المرأة من الممكن أن تكون عنيدة مثل الرجل وأكثر . . إذن فلقد خسرت المباراة ؛ دعينا نعلن نهاية اللعبة . .

أرمان : لقد تكلمت مدام بلانشار . . وكان صوتها ساحراً . . ولكن يؤسفني أنها تكلمت . . فعندما جلست هناك أصغى إليها ، لاحظت نقصاً واضحاً فى صوت زوجتى ، نقصا لم أشعر به من قبل فقد ظننت دائماً أن صوت زوجتى جميل جدا ، منخفض ورقيق ولكن لاحظت الآن أن صوتها جاف خشن . . وكنت أرى أن شفتيها جميلتان خصوصاً عندما تتكلم واكتشفت الآن أنهما تتقلصان وترتجفان . . وكنت أظنها من البلابل ، لكن من المؤكد أنها ستكون غرابا هذه الليلة . . أليس هذا عجيباً !

أوجينى . وهذا بالضبط مع الأسف ؛ ما أرادت صديقتى أن تغنيك عنه عندما قررت ألا تتكلم .

أرمان : وكان من أخطاء صديقتك ، أنها تطلعت إلى . . فلها عينان جعلتانى أكتشف أن عينى زوجتى ليستا فى لون المخمل وكنت أظنهما كذلك . . والآن أراهما فى لون الصلب . . وشكراً لله أننى لم ألمس يدى مدام بلانشار وإلا كانت كارثتى أكبر عندما ألمس زوجتى فى الليل ، عندما ألمس تلك البشرة التى جعلت أيامى ولیالى تمر فى نعومة الحرير . . ومنذ لحظات لمست بشرتها . . فكانت لا تزال ناعمة وعليها قطرات من العرق . . ربما من الخوف . .

أوجينى : إذا لم تنهضى الآن يا لوسيل ، فسأنهض وحدى . . أنت فى منتهى القسوة . .

أرمان : وكانت باولا عزيزة علىَّ حتى صباح اليوم .. ومدام بلانشار

لا تعرف كيف كان طعم حنانها عندى . . فى استطاعتى أن أتذكر أشياء كثيرة بيننا . . فهى حريصة عادة على ألا توقظنى عندما تعود من زياراتها التى اعتادت على أن تقوم بها كل ليلة فهى تقترب منى وتحضننى وتتركنى أنام . . أو عندما تعود من الكنائس حيث للبخور رائحة السجائر ، بملابسها . . وكيف أن السماء عندما تمطر يظل حذاؤها – بمعجزة – جافاً ، لأن أحد القديسين قد حملها على كتفيه إلى البيت . . لقد كانت كنيسة من ذلك النوع الذى يوزعون فيه الورد الأحمر على المؤمنين ، وزوجتى تختار – عادة – أجمل وردتين وتضعهما فى إناء مجاور لسريرى . . وأظل طوال الليل أشم عطرهما وأنا أحسدها على شجاعتها فى إخفائها خربشة الورود ليديها وذراعيها . . إن هذا الورد كثيراً ما ترك أثراً فى كتفيها وعنقها وصدرها . . تماماً كأى طفل مهمل . . وأحياناً أرى هذه الخربشة فى بطنها . . يا رب إننى فى شدة الحيرة ؟

أوجينى : (تنهض) سيصيبك الجنون . . فأنت لا تتوقف عن الكلام . . وأنت لا تكفين عن الصمت . . كلاكما فقد عقله !

أرمان : أبداً . . بالعكس بل حيرنى عقلى مرة أخرى إن الشيطان يجب أن يأخذ نصيبه . . إنها لرؤية واضحة . . رؤية مزدوجة . . فوراء مدام بلانشار أرى أحد الملائكة ، صورة أخرى لها ، يعانى من عذاب الصمت ، وأرى فى شفتيها حروفاً تتكون منها كلمة غير متوقعة . . كلمة الصداقة . . ووراء زوجتى أجد شيطاناً ، ينطق

بكلمة غريبة . . إنها الكراهية . .

أوجينى : هل أنت سعيدة الآن ؟ هل رأيت ما صنعته يداك !
نعم . . هذا صنيعهما . . أو ربما لم يكن صنيعهما . . فأنا أرقب زوجتى والآن أعرف أنها خدعتنى !

أوجينى : هل رأيت حيواناً يزحف فوقى يا لوسيل ! أظنك لا ترين . . لأن موهبتك الغريبة مزيفة . . فأنا ذاهبة إلى عشيقى . . إلى اللقاء ! .
(تخرج)

أرمان : أنا سعيد لأنها تركتنا وحدنا . . انت لم تتكلمى لأنها كانت موجودة هنا . . أليس كذلك ! ولأنها كانت هنا ، تحدثت أنا كثيراً ، أليس كذلك ؟ لديها عشيق ! فما الذى نفعله نحن ؟ إن الإنسان هو الإنسان . . سواء كان عظيماً أو موظفاً تافهاً يخرج من مكتبه فى السادسة أو من مقهاه فى الثامنة . . ولا فرق بين نساء يتجمعن فى الحمام أو يتجمعن فى المقاهى ، فما حيلتنا ؟ إن الإنسان خائن بطبعه . ولكن الشيء الذى يضايقنى هو أننى أخشى من أن أكون ظالماً أو أكون قد فشلت أو قتلت أحداً . . فإذا كان الأبرياء سيعانون من عذاب الضمير ، فالمذنب يجب أن يستشعر الحزن . . وهذا هو أسوأ الحلول .

باولا : **(تنادى من بعيد)** أرمان حبيبى !

أرمان : لقد دخلت هذا المكان مع زوجتى الشابة الحلوة المطيعة ولها ذكريات لأيام سعيدة . . أيام صافية نقية . . ليست فيها نقطة واحدة سوداء ، أما الآن فأترك ورائى زوجة دميمة . ذهبت

نظراتها الساحرة إلى غير رجعة . وورائى سنوات من البلاهة والهوان . . كل هذا ضاع اليوم . . أهنئك على ضياعى !

باولا : (تناديه) أرمان !

أرمان : إنها تنادينى . . إنها لا تدرى كم أصبح صوتها قبيحاً فى أذنى .

لوسيل : (تبتعد عنه والدموع فى عينيها) : الآن يجب أن تسمعنى . . أرجوك اسمعنى .

أرمان : أخيراً نطقت ! إنى أستمع إليك . .

لوسيل : أنت لا تعرف ما الذى يعنيه صمتى . .

أرمان : وهل كنت صامتة ! يبدو أننا تفاهمنا على كل شىء . . إن هذا هو الشىء الوحيد الذى كسبته فى هذا اليوم . . السعادة والشقاء . . والرجال والنساء . . لقد أطلعتنى على كل شىء !

لوسيل : بعض الناس أبلغنى إنك تسخر من زوجى . . ولهذا كنت متحفظة معك . . إننى لم أفكر لحظة واحدة فى زوجتك .

أرمان : من الممكن أن تكون الأكذوبة شيئاً جميلاً إذا صدرت عن امرأة صادقة . . وأنا أريد أن أعرف ما هى آخرة الكذب معك . . وأريد أن أستحلفك إن كانت زوجتى مخلصة لى .

لوسيل : أنا على استعداد لأن أقول لك كل شىء . . ولكن يجب أن تخبرنى ما الذى قلته عن زوجى أول أمس عندما كنت فى النادى .

أرمان : قلت إن الفضيلة ضعف فى القائد القوى ، وقوة فى القاضى الضعيف !

لوسيل : ألا ترى إن هذه سفالة منك ؟ ابعد عنى لن أضيف كلمة أخرى . . اذهب . . أرجوك أن تبعد من هنا ؟

أرمان : لن أعود اليوم إلى البيت . . إننى أصبحت أخاف من البيت .

(تنهض باولا وتقترب منهما)

باولا : أرمان ملاكى حبيبى ؟

أرمان : نعم ؟

باولا : أرمان يا ملاكى ابحث لى عن الشال . . إننى أشعر بالبرودة هل تعود إلى البيت وتأتى به ؟

أرمان : حالا . .

(يخرج أرمان)

باولا : (تتحدث إلى لوسيل) هل تتواضعين فتتحدثين معى ؟

لوسيل : هذا يتوقف على نوع السؤال . .

باولا : ليس سؤالاً . . إنما بعض المعلومات . . جئت لأعرفك من أنت !

لوسيل : إننى أعرف من أنا . . إننى واحدة من النساء لا تطيق واحدة مثلك .

باولا : أنا أقول لك من أنت بعبارة أسهل . . أنت امرأة تحب الرجال .

لوسيل : ربما ما دام من حقهم أن يوصفوا بأنهم رجال .

باولا : الامبراطور شارلمان مثلاً ؟ أو الإسكندر المقدونى . . أو ذلك القديس الذى يهتم بالأطفال ! نسيت اسمه . .

لوسيل : أنت لم تنسه . . ولكنه هو الذى يهرب منك !

باولا : لقد أحسن صنعاً . . ولكنى أكثر إخلاصاً مع نفسى فأنا أستطيع أن أراهم وأن أحكم عليهم ، دون أن أجعل منهم أناساً عظماء أولاً ، وبعد ذلك أحبهم .

لوسيل : الإنسان يزور حينما يستقبله الناس .

باولا : كونى صريحة معى . . ما رأيك فى الرجال الآخرين . . ذلك السباح الذى رأيته عارياً منذ أيام . . ما رأيك فى مطرب الأوبرا الذى سمعناه معاً يغنى فى أوبرا «عايدة» يوم الخميس الماضى ؟ أليسوا رجالاً بالنسبة لك ؟ ما معنى الأكتاف الضخمة والسيقان المفتولة وما معنى عضلات الذراعين فى قاموسك !

لوسيل : ليست لدى أية فكرة .

باولا : أنت عمرك ثلاثون عاماً . . ستعرفين فيما بعد . . ستعرفين أن الرجال عندنا يستسلمون لنا ، فإن وقع أقدامهم على الرصيف ليلاً يجعلنا نعرف أوزانهم ، كما أن ظلالهم فى ضوء القمر تجعلنا نحس أنهم ضروريون لنا ، ثم أصواتهم وهى تقترب من الشارع خشنة أو رقيقة ، ما معنى هذا كله عندك ؟ أية دلالة لهذا فى تفكيرك ؟

لوسيل : ظلال ووقع أقدام وأصوات . . لا أكثر !

باولا : أنت تكذبين . . إنهم حياتك . . إنهم بالضبط ما تحبين .

لوسيل : أشكرك على هذه المعلومات القيمة . .

باولا : إننى لا أستحق الشكر . . فأنت تعرفين هذا كله . . وأحب أن أقول لك إنك نوع نادر من النساء ، ولكنه نوع قد سمعنا عنه . .

انت نوع من النساء الذى لم يعتد على الحياة بين ملايين من أجسام الرجال وأرواحهم . . إنك لا تكفين عن الدهشة ليلاً ونهاراً من أنك امرأة بهذا التحفظ ؛ وهذا التواضع الظاهرى ، ليس إلا عجزك عن الاعتراف بنفسك . . إنك مندهشة من هذه المرأة التى فى داخلك ، وفى فزع منها أيضاً ، فعندما تكونين وحدك فإنك تخجلين من لقياها . . وتتجهين ناحيتها بقلق عندما تكونين فى فراشك . . ولكن ليس هذا هو شعورك بالنسبة للرجال . . فالرجال واضحون أمامك . . ذكور جسماً وروحاً . . وليست لعبة الفضيلة التى تؤدينها إلا حبا شديداً لهم !

لوسيل : أنت تصفين نفسك ببراعة . .

باولا : ليس هذا من صفاتى . . فأنا عكس هذا تماماً . . أنا لا أستطيع أن أرى أو أحب إلا رجلاً واحداً . . ليس نفس الرجل دائماً ، طبعاً . . إننى أغيره ، ولكن عندما أغيره ؛ لا أحب معه أحداً آخر . . فأنا لا أرى أحداً غيره فى العالم كله . . فعندما يكون معى ، فالآخرون لا وجود لهم ، إنهم يتسللون بعيداً من هذا الوجود . . وعندما أحب ، فكل السفن تمشى بلا بحارة ، والعربات بلا عربجية ، ويخرج الكعك من هذا المطبخ من تلقاء نفسه . . لا رجال فى الدنيا غير الرجل الذى أحبه . . وعندما أعترف فى الكنيسة ؛ فإنى أعترف أمام شبح قسيس وأسمع منه العفو دون أن أراه . . وأرقب النساء يرقصن فى فراغ ويمسكن الخلاء بأيديهن ويضحكن ويتحدثن مع العدم . . لأن الرجل

الوحيد فى الوجود الذى له لحم ودم ينام بين ذراعى . .

لوسيل : وهل يخرج زوجك أيضاً شبحاً من هذا الوجود !

باولا : زوجى ! لا . . إنه لا يزال هناك ، فكرة متسلطة . . مركز غامض لشعورى . . إنه فكرة معقولة متسلطة على شعورى ، إنه مثل ذكرى جميلة انشغلنا عنها بحاضرنا الآن . . صديق . . ظل . . إنه الذى لم يمسك بحياتى اليومية فى يديه . . وكل اهتماماتى وما أحب وما أكره ، كل ذلك فى يديه . . وحديثى بين شفتيه مع كل شىء سوف أطلبه بسرعة فى نفس اللحظة التى أهجر فيها آخر عشيق . . وعندما يجىء ذلك اليوم البغيض سيكون زوجى هو رجل الطوارئ . . وفوراً يصبح شخصاً مهمًّا فى حياتى . . وسوف أشجع كل هؤلاء الرجال الذين أخفيتهم فى ضباب اليوم على الظهور إلى الوجود من جديد . . وهذا هو سر تمسكى بزوجى . . والآن قد عرفت لماذا أنا حريصة على ألا تفرقى بينى وبين زوجى . . فعندما يختفى العاشق يظهر الزوج ، وعندما يظهر الزوج يكون الرجال قد اختفوا !

لوسيل : هذا شىء رهيب للغاية . .

باولا : ملحوظة وجيهة ، ولكنها تافهة إذا جاز لى أن أقول . . إن زوجك بالنسبة لك أقل من هذا بكثير جدا !

لوسيل : أظن لا داعى لأن يجىء زوجى على لسانك .

باولا : مهما حاولت أن تجعلى لزوجك حكمة الملك سليمان ، فإن جسمه هو هو لا يتغير ، وجسمه لا يعنى شيئاً بالنسبة لك .

لوسيل : وقحة !

باولا : أشكرك . . انت تبصقين فى سحر جميل ، كأنك تلميذة خائفة . . إن زوجى هذا يجعلنى أضحك من مجرد إنه يحرك فيك الأنثى لصالح رجل آخر . . إن ليونيل يقدمك إلى برتران وبرتران يقدمك إلى جان — بول .

لوسيل : تحفظين عدداً كبيراً من الأسماء . .

باولا : لماذا تتركينه ؟ بالطبع أنت لا تحبينه . إنك تتركين زوجك يسافر إلى كل مكان مرة كل أسبوع ، أربع مرات فى الشهر ؛ بينما أنت تنامين وحدك فى فراش خال ، راضية مستريحة ، تعانين أسوأ ما يمكن أن تعانيه امرأة عاشقة . . وهو غياب العاشق ! لو قدر لك أن تلقى نظرة على نفسك وأنت تدخلين هذا المحل ، ورأيت الرضا التام على وجهك ، لأدركت أن زوجك لا معنى له عندك . .

لوسيل : اغفر لى يا زوجى ليونيل ؛ إننى تحدثت إلى مثل هذه المرأة .

باولا : . . هذه المرأة التى تعلمك حقيقة المرأة ! .

آه يا عزيزى ليونيل ابعد عنى ما استطعت من الوقت . . فعندما تكون بعيداً يا عزيزى ليونيل ، تكون قريباً . . هذا كذب . . فالبعد هو البعد . . وهو الموت الحقيقى . . فإذا كان هناك إنسان واحد أمين ، ثم غاب عنى ولو يوماً واحداً ، أو حتى ساعة ، فإننى أتمسك به ، وأبكى كأنه قد اختطفت أنفاسى ثم أننى أنحنى حذاءه ، ثم أصرخ فى وجهه من النافذة عندما يبعد عنى

وأشتمه . . فعندما يخف وزنه من فوق صدرى ، تصبح الدنيا بلا وزن . . أما أنت فتتنفسين بحرية !

لوسيل : أكرهك !

باولا : إن كراهيتك لامرأة أخرى لا تجعلك تحبين زوجك . . والآن استمعى إلىَّ ؛ هناك شىء واحد لا بد أن نحسمه معاً ولذلك فأنا جئت لكى أحذرك !

لوسيل . ماذا تقصدين بكلمة «معاً ؟» هل تتحدثين باسم جمعية من الجمعيات ؟

باولا : نعم . . باسم كل النساء . . إننا نعتقد أن أسوأ جريمة يمكن أن ترتكبها امرأة هى أن تقف فى جانب الرجال . . فالميثاق الوحيد الذى لم يتمزق منذ بداية الخليقة ، هو ميثاق النساء معاً ضد الرجال . . والمرأة التى تعتدى على هذا الميثاق مصيرها الهلاك . . فالرجل كائن بسيط . . وكل ما يطلبه منا هو الهدوء والسلام ، وأن نتركه يلهو مع خيوله ، وأن نتركه لعمله ولفلوسه ، ولغروره .. إنه لا يطلب منا حياة حقيقية ؛ ولا أن نرضى رغباته الحقيقية ولا أن نكون صادقين معه كما يجب أن تكون المرأة ، إنما نمضى فى لعبة الإيهام والكذب ، فزوجك رجل قوى وطموح ، ويجب أن يتظاهر بالفضيلة ، أما زوجى فغيور كالنمر ، ويجب أن أوهمه باستمرار إننى عند حسن ظنه . . ونحن نعيش بسبب قصر النظر عند الرجال . . ولذلك فنحن نعيش فى الدنيا بمشاعرنا العارية ؛ ونتحول بحرية ، ونشبع رغباتنا وهم لا يدرون

شيئاً . . ولكن عندما تخوننا امرأة واحدة ، فيصبح الرجال بعد دقيقة واحدة بعيدى النظر سليمى الإدراك . . فإنهم يتحولون فوراً لا إلى أناس قد أهينوا وجرحوا ويتعطشون إلى الانتقام . . إنما فقط يقومون بدور الذى أهين وجرح ويريد أن ينتقم . ويمضون فى القيام بهذا الدور حتى الموت !

لوسيل : ثم ماذا ؟

باولا : ثم إننى أتحدث إليك بالنيابة عن كل النساء . فقد أبقيناك وقتاً طويلاً . وكثيرات منا لن يحتملن الصبر طويلاً على أسلوبك فى الحياة .

لوسيل : لا أفهم . .

باولا : أنت تفهمين كل شىء . . والآن سأضع لك الطريقة التى يجب أن تعاملى بها النساء . . إذا رأيت واحدة فى طريقها إلى عشيقها أعطيها يدك ، فإذا عادت ابتسمى لها ، ثم عليك أن تتحدثى وتضحكى مع كل زوج مخدوع فإن فعلت ذلك فسيكون من الصعب على أى رجل أن يكتشف الحقيقة وأن يرتكب أية جريمة !

لوسيل : وإذا لم أفعل ؟

باولا : لا شىء . . إنما فقط سينطبق ذلك القانون الخالد وهو أن الفضيحة ستنقلب على من يثيرها . . فالذى يرفع سيفه يموت به . . وعليك أن تختارى الشعار الذى يعجبك . . والآن يا عزيزتى . . فى استطاعتى أن أبتسم لك . . وإنها لابتسامة

طويلة الأجل ، وليس من الضرورى أن تردى بابتسامة أخرى قبل الغد . . ولكنك ستتحدثين إلى زوجى الآن ، لأنه قد عاد من البيت .

لوسيل : على أتم استعداد لأن أفعل ذلك .

(**أرمان عاد ومعه شال فى يده**)

باولا : عزيزى أرمان إن مدام بلانشار تود أن تتحدث إليك .

أرمان : ليس ضروريًّا . . إننى أعرف كل ما تريد أن تقوله .

باولا : أكيد أنت لا تعرف . . أكيد لا تعرف !

أرمان : أنا تحت أمرك .

لوسيل : سامحنى لأننى لم أرد عليك . . كان خطأ منى فالصمت ليس هو الأسلوب الذى يناسب رجلاً مثلك ، لأننى قد التزمت صمت الأطفال معه . والآن سأحدثك كامرأة . وأنا مدينة بهذا التغير إلى زوجتك أشكرها مثلما شكرتها أنا أيضاً . . فقد جعلتنى أعتقد أنك لست الزوج المخدوع المنافق الذى تصورته إنما أنت رجل طيب ومعذب أيضاً . . وإذا صدقتها ، فسأكون أول امرأة تقول الحقيقة لرجل . . ومعنى هذا أننى سوف أفضح كل امرأة فى العالم ، ولكنى لا أصدق هذا ، إنما الصدق معك هو الإخلاص مع نفسى أيضاً . أقصد إننى سأكرر لك ، تماماً كأية خائنة ، كل ما قالته زوجتك . . وسأقول لك ، كأية جاسوسة ، كل ما أطلعتنى عليه من أسرار . . إن زوجتك شيطانة يا سيدى . . لقد خانتك مائة مرة . . إننى لن أتحدث عن

عشاقها : برتران وجان – بول وغيرهما . . إنها تخونك بانتظام مع كل إنسان . . فأنت لست رجلاً بالنسبة لها . . إنما أنت الرجل الذى يحرسها ، ويجعلها تشعر بالاطمئنان مع كل عشيق لها عندما يزهق منها العشيق . . اتركها . . خير لك أن تعيش فى صدق ٢٤ ساعة ، على أن تعيش فى الكذب ٢٤ ساعة . . ٢٤ ساعة من الشرف ، خير من ٢٤ ساعة من العار ، اتركها لتكتشف الأشياء التى فقدتها وقتاً طويلاً ، لتكتشف الدنيا الطيبة ، الدنيا الطبيعية ، دنيا الحيوانات والأشجار . . وأهم من ذلك سيكون لك رأى خاص ، وسيكون لك احترامى .

أرمان : وهو كذلك . . سوف يحدث كل ما تريدين . . إلى اللقاء يا باولا . .

باولا : إلى أين ؟

أرمان : انتهى كل شىء . . فليس فى الدنيا أسهل من أن يغير الإنسان حياته .

باولا : أرمان ! :

أرمان : ليس أسهل من هذا . . إن كل شىء يخص اثنين من الأزواج ، ينقسم من تلقاء نفسه بسهولة عندما يقرر الاثنان الانفصال . . إننى الآن أعرف كيف إن البيوت تنتظم من تلقاء نفسها . . وأعرف بوضوح أى الخدم سوف يجىء معى ، وأى الحيوانات سوف تذهب معك . . إن المحامين قوم لا ضرورة لهم !

باولا : ماذا ستفعل يا حبيبى ؟

أرمان : سأسترد سعادتى يا حبيبتى ! لن أتعذب بأن لزوجتى عشيقاً سأتوهم أن ليس لها عشيق ، ولن تكون زوجتى بعد ذلك . . وبذلك أسترد سعادتى . .

باولا : أرمان !

أرمان : هذا هو الشال . . ضعيه على كتفيك . . فأنت عارية تماماً ! (ويخرج)

لوسيل : أنا عطشانة . .

باولا : إن عطشك يرويه الماء ! يا لك من محظوظة !

لوسيل : لا شك إنك راضية الآن . لقد تحدثت إليه . .

(وتشرب كوباً من الماء قد وضعت فيه باولا مسحوقاً منوماً)

باولا : هل أنت عائدة إلى البيت . . لحظة واحدة من فضلك .

لوسيل : لا لا تلمسينى . .

باولا : بل سألمسك . فعندما كنت صغيرة وكنت أجمع طوابع البريد كنت أتحايل على تقبيل شفاه الناس الذين أحبهم . أو أحتقرهم . وسأضيف إلى مجموعتى لمس شفتيك . . ماذا جرى لك ؟ إنهما باردتان .

لوسيل : ابعدى عنى . .

باولا : لا . . ضمن عاداتى الغريبة أن أقيس الذين أحبهم والذين أكرههم بالعصا . . إنهم يثيرون لذتى ؛ عندما ألمسهم وعندما أمسكهم أكثر . . سأمسكك وسوف أتركك فى الوقت المناسب إلى امرأة لها أظافر أقوى من أنياب الكلب . .

لوسيل : سواء تركتنى أو أمسكت بى . . فإننى لا أنتمى إلى فصيلتك من النساء . .

باولا : أنت لا تنتمين . . سوف تعرفين معنى ما تقولين بعد قليل . .

(يغمى على لوسيل . . ويجرى ناحيتها جوزيف والآخرون)

جوزيف : ماذا جرى ؟

باولا : لا شيء . . إنها فقط فى حالة نسيان لمدة عشر دقائق أبعد هؤلاء الناس جميعاً . وابحث عن الساحرة باربيت . . ابحث عنها فى أى دكان قريب . .

(جوزيف والزبائن يخرجون)

باولا : والآن أنت هنا . . نائمة . . وسيحملك النوم إلى شاطئ لم يخطر لك على بال . . كم أنت جميلة ، غريمتى الصغيرة ، جميلة ورقيقة محددة الملامح ، كأنك مفتاح من فضة ؟ فما الذى سأفعله بك . . لا أعرف ؟ فضيحة ؟ كارثة ؟ سنعرف حالاً . . إن جمالك ودقة تقاطيعك ستساعدنى على كل شيء ضدك . . ستكون فضيحة هائلة كارثة لا يتوقعها أحد . . ومعى الآن المفتاح لصندوق بندوراً تماماً كما أردت يا لوسيل . . أنت تريدين أن تطلق الكراهية من صندوق بندورا ؛ فإليك هذه الكراهية . .

(تدخل باربيت بسرعة)

باربيت : يا لها من مسكينة . . ماذا أستطيع أن أفعل ؟

باولا : فى استطاعتك أن تساعدينى على الانتقام منها . . انتقام أروع من

أى انتقام ساعدتنى على تنفيذه من قبل . . سأدفع لك أجراً مضاعفاً . .

باربيت : هل أضع لها دبوساً فى عرق فى وجهها . . هل أعطيها الدواء الذى يملأ جسمها بالدمامل ؟

باولا : لا شيء من هذا طبعاً . . إنها من ذلك النوع الرائع الذى يزداد جمالاً فى المعارك . . ألا يزال بيتك على الطريق الزراعى ؟

باربيت : . . وعلى السرير ملاءات نظيفة . .

باولا : يجب ألا تجعليها نظيفة كى يبدو نومها هادئاً بريئاً جميلاً . . وأى عطر هذا الذى يهب منها أنها ليست مثلى أو مثلك ، ياباربيت . . ما أجمل ليالى الرجال ، إذا لم تكن فى الدنيا سوى الأشجار وهذه السيدة الجميلة . .

باربيت : ماذا فعلت لك ؟

باولا : فضحتنا . .

باربيت : نحن الاثنين . .

باولا : كلنا من كليوباترا حتى باربيت ومعنا بلقيس ملكة سبأ ، وزوجة أصغر موظف فى المدينة .

باربيت : فضحتنا عند البوليس . .

باولا : عند رجل . . لقد قالت لرجل أن النساء لسن ملائكة . .

باربيت : هل أقطع رموشها ؟ هل أجعل لها شارباً ينمو . .

باولا : ضعيها فى سيارتى . . ضعيها بعد ذلك على السرير . . واخلعى ملابسها ، وجواربها . . وفكى شعرها . . فهذا المنظر ليس مألوفاً

لديها مع زوجها القاضى . . وضعى الزهور على المائدة ؛ ثم اجعلى إناء الورد يسقط على المائدة . . وضعى خشب الصندل عند السرير ، وحطميه بقدميك . . واجعلى فى شفتيها طعم العسل واجعليه يسيل حتى صدرها . . وعطّريها قبل أن تكره رائحة السرير . .

باربيت : من الخطر أن نبعث لها بزبون . .

باولا : لن يحدث شيء من هذا . . ولكن يكفى إنها ستتصور أن شيئاً قد حدث . .

باربيت : من الذى أقول إنه كان معها ؟ من المضحك أن أقول إنه كان عجوزاً .

باولا : لا ينفع فى هذه الحالة . . يجب أن يكون أرشق رجل فى المدينة ، وأعرقهم حسباً ونسباً ، وأكثرهم انحلالاً .

باربيت : الكونت مارسيلليس ؟

باولا : نعم إنه هو . . وهذا هو منديله . . أخذته منذ ساعة ضعيه فى يدها . . ولكن رتبى كل شيء بحيث تحس عندما تصحو كأنها كانت فى حلم سعيد . . خذى هذا المنديل . . امسكيه جيداً . . إنه نسيج كل الخيوط التى تؤدى إلى كارثة فى النهاية !

« ستار »

الفصل الثانى

(فى شقة الكونت مارسيلليس)

(مارسيلليس وباولا)

مارسيلليس : ما الذى أتى بك إلى هنا فى هذه الساعة المبكرة من الصباح . . إننى لم أرك منذ عام .

باولا : إنها صبحية زفافك . .

مارسيلليس : وهل أنت العروس ؟

باولا : لا لم آت هنا لكى تعوضنى عن زواجى . . إنما أقصد زواجاً حقيقياً يا مارسيلليس . زواجا سوف تشكرنى عليه .

مارسيلليس : أشك فى هذا . . ما هو الزواج الحقيقى فى هذا العالم ؟ .

باولا : بل أعرف زواجاً رائعاً .. زواج الرذيلة بالفضيلة ..

مارسيلليس : الرذيلة ! إنك تتحدثين مثل القاضى بلا انشار وهو يتحدث كسيدة عجوز ، وهى تتحدث كآلة ، فأنت طبعاً لا تتوقعين من رجل أن يتحول إلى رذيلة فى الثامنة صباحاً . . ففى هذه الساعة من الصباح تكون الرذيلة امرأة !

باولا : أعرف رأيك فى أن الرجال يصحون من نومهم كأنهم ولدوا من

جديد . ولا يهم الحال الذى كانوا عليه قبل ذلك ، فهم يولدون أطفالاً صغاراً كل صباح .

مارسيلليس : فعلاً هذا رأيى . . أهذا هو السبب الذى من أجله كنت تجيئين فى ساعة مبكرة وتعرضين علىَّ أن نلتقى طيلة العام الماضى عند الفجر ، يجب أن تعرفى أن الرجل عندما يصحو فهو دائماً فى أحضان زوجته ، أيا من كانت هذه النائمة إلى جواره ، وهو يحتاج عادة إلى وقت قصير جدا لكى ينسى من هى . . لقد اعتدت أن تصلى مبكراً .

باولا : إذا كانت لك زوجة حقيقية فهى الجبن وهذا ينطبق على كل رجل . . فالرجل يلقى بنفسه فى أحضان الجبن عندما ينام . . فالرجل النائم له أثر حزين عند المرأة التى تحبه . فالنوم هو الذى يطردها تماماً . . فأنت تنام بلا رغبات ، بلا استحكامات ، بلا قوة ، تماماً كالقاضى بلانشار الذى ينام بلا نياشين على صدره .

مارسيلليس : بلا نياشين ؟ أشك فى هذا . . ولكنه على أى حال ينام إلى جوار مدام بلانشار ، وهذا ما يجعل من الصعب علىَّ أن أسامحه .

باولا : وإذا لم يكن الرجل الوحيد فهل يصعب عليك أن نغفر له ؟

مارسيلليس : لا معنى لهذا الخبر يا باولا .

باولا : هل تظن أننى أغار من مدام بلانشار . .

مارسيلليس : أعتقد أنك تغارين من كل النساء البريئات . . فإذا لم تكونى تعرفين ذلك ، فقد أخبرتك . ويجب أن تحترسى منها . . فأنا

ألاحظ أنك تصبحين ريفية عندما تجلسين معهم . . فأنت تمشين وراءهم وتراقبينهم وتدرسينهم ، كأن العفة أو الصفاء سر يمكن أن يتلقنه الإنسان . . ويبدو أنك تحاولين أن تتمشى مع الموضة ، أى مع أحدث شيء فى السلوك الاجتماعى . . تماماً كواحدة تريد أن تنقل موديل فستان : أن تعرف السر . . فالسر الذى لن تعرفيه : كيف تداعبين رجلاً دون أن تريه ، كيف ترينه دون أن تحددى ملامحه ؟ فضيلة لوكريسيا الرومانية القديمة هى سر مدام بلانشار .

باولا : اختر نماذج أحسن . . فأنا لست حجة فى حكاية لوكريسيا . . ولكن منذ التاسعة من مساء أمس لا يمكن أن تكون مدام بلانشار هى الإنسان الذى تعرفه . .

مارسيلليس : كذب !

باولا : حقيقة ماثلة . .

مارسيلليس : ماذا يمكن أن يحدث لو أنك أخبرتنى مرة أخرى أنك فتاة مجربة . .

باولا : ولكنها الحقيقة . . لقد سقطت مدام بلانشار ، ضحية لذئب . . فى بيت باربيت . . وقد رأت باربيت كل شيء . .

مارسيلليس : إنها أيضاً كاذبة .

باولا : فى غاية الدقة هؤلاء الرجال إنهم لا يكادون يرون امرأة يريدونها ، حتى يتصرفوا كأنهم أزواج فيطالبون بالبراهين على أخلاقها . . هذه هى البراهين . . هذا هو مشط القطة

باربيت . . وهذا هو منديل رجل . .

مارسيلليس : ما اسمه ؟

باولا : عليك أن تعرفه . . سوف تلعنه . . وسوف تصرخ . .

مارسيلليس : ما اسمه ؟

باولا : أتردد فى أن أقول لك . . لن تصدقنى . .

مارسيلليس : كم سهرت الليالى أروح وأجيء والسعادة تغمرنى كلما فكرت فى جدول حياتها اليومية ، وكلما فكرت فى فخ تسقط فيه . . وهذه هى أول مرة فى حياتى يتحول النصر إلى شيء يساعدنى على الانتقام .

باولا : هل أنت متأكد من أنه انتقام . . ومما رأيت بالأمس أعتقد أن الانتقام قد ترك الأمر كله لقلوب أكثر رقة ، وقد لاحظت على الرغم من أنها تتظاهر بأنها ترى بعض الكائنات الكريهة تزحف على كل لسان ليس شريفاً تماماً ، فإنها لا ترى شيئاً من هذا فوق جسمك . . ولكنى أستطيع أن أرى .

مارسيلليس : منذ جاءت هذه السيدة إلى هذه المدينة ، وأنا لم أعد أفكر فى شيء سواها . . أنت تعرفين هذا . . أن المحاكم قد أدت لى خدمة جليلة عندما بعثت بها إلى هنا . . حينما كنت أجد الفضيلة عند كل امرأة تستهين بالفضيلة وكنت أجد الصدق فى الأكاذيب ، وأجد الرشاقة بين من لا يعرفن الرشاقة . . ولا شك أن الرجل الذى على تماثلها الجميل فعل ذلك بالقوة .

باولا : تقريباً . . مع شيء قليل جدا من الغيظ .

مارسيلليس : ما اسم هذا الحيوان ؟ لابد أن أتلقى منه جواباً على هذا العمل الشنيع .

باولا : لا تجرحه كثيراً أرجوك . . إنه أنت .

مارسيلليس : نكتة سخيفة .

باولا : ليست نكتة . . إن وجهك هو الوجه الوحيد الذى تستطيع مدام بلانشار أن تراه الآن . . إن شفتيها مطبقتان على اسمك الآن . . إن ظلا ووزنا لعظامك قد تسلل بينها وبين كل ما يحيط بها ، بينها وبين زوجها ، بينها وبين كلبها ، بينها وبين ربها .

مارسيلليس : ماذا تريدين أن تقولى بالضبط . . اشرحى لى ماذا تعنين . . هل هى لاحظت اهتمامى بها .

باولا : إنها تحتقرك . . أنت أول إنسان كرهته . . فكراهتها لها قوة أول كراهية عرفها العالم لاشك أنها قد لاحظت اهتمامك بها .

مارسيلليس : هل حدثها جوزيف عن خطبتى ؟

باولا : (ببطء) أمس فى الساعة السابعة مساء ، أغمى عليها . . وأفاقت فى الليل ، ووجدت نفسها نائمة على سرير باربيت ، عارية ، ومبهدلة ، وعلمت من باربيت أن رجلاً قد أتى بها إلى هناك ، وبقى معها ، وأن هذا الرجل هو أنت .

مارسيلليس : من الذى اخترع هذه القصة المضحكة .

باولا : الانتقام . . انتقام امرأة . .

مارسيلليس : وكيف صدقت ذلك ؟

باولا : إن باربيت هذه قد زورت «عذرية» مئات الفتيات فى

عصرها . . وعلى سبيل التغير ، فى استطاعتها تزوير سفالة امرأة . . ومن المؤكد أنها أدت ذلك ببراعة . . وعلى أى حال فقد كانت الضحية تمسك منديلك ، هذه هى التقاليد . . وأنا أعرف تقاليدى . . ولك الشكر .

مارسيلليس : تشكريننى على أنك أعطيت لظلى وشبحى ما كنت أريده لنفسى .

باولا : لا تبالغ . . إن سحرك بدأ يخبو . . لقد تعبت فى أن أجعلك تلتقى بابنة خالتى سلستين يوم السبت الماضى . ومع ذلك فشلت فشلاً تاماً .

مارسيلليس : سلستين لا تدل على شىء . . لقد كانت سلستين راغبة تماماً ، لولا أنها كانت مريضة بعض الشىء .

باولا : ستعرف الآن كم تساوى سمعتك ، يا عزيزى مارسيلليس ، ومدام بلانشار حتى الآن لك ، إذا أردت . . إنها الطهارة نفسها والعفة ، وأقصى ما يستطيع الخيال . هل ترى القوة التى أعطتها لك السيطرة عليها ؟

مارسيلليس : أكملى قصتك . . أين هى الآن ؟ وأنت كنت هناك فى بيت باربيت . . وذهبت وراءها وتجسست عليها . . إننى أعرفك . . أعرف أنك مريضة بعض الشىء . . إنك تريدين أن ترى الشر الذى تمارسين . .

باولا . والخير أيضاً ، إذا لم تخنك الذاكرة ؟

مارسيلليس : والذى قالته . .

باولا : ولا كلمة . . لقد استمعت إلى كل كلمة قالتها باربيت . . وتقول باربيت إن ملابس هذه السيدة وشعرها ، قد ترتب وانتظم من تلقاء نفسه . . إنها لم تشأ أن تلمس نفسها ، فقد اكتشفت هذه الفضيحة وقد احتكت إحدى ساقيها بالأخرى ، وكان هذا الاحتكاك مخيفاً لها . . وفى بيتها مرايا كثيرة . . وسوف ترى لمعان عينيها فى المرايا . . إذن . .

مارسيلليس : هى الآن فى بيتها . .

باولا : عادت ضائعة فى الظلام ، كأنها تمشى قائمة ، متماسكة مصلوبة القوام . . ولم تلمس جدار الكنيسة التى مرت بالقرب منها ، ولا الكلب الذى تعلق بثوبها . . ولم تمسس سور الكوبرى الذى مرت عليه ، ولا نظرت إلى وجهها فى الماء . . ومرت من فوق رأسها بومة . . فتطلعت إلى البومة . . ولكنها لمست شجرة صغيرة متكبرة اعترضت طريقها . . إنها نوع من أشجار الليمون .

مارسيلليس : هذه الأشجار أزهرت وفى استطاعتك أن تعرفها من عطرها .

باولا : إذن لم يكن هذا النوع من الشجر . . وإلا لجعلها العطر تهرب إلى البيت . . فقد كانت هذه الشجرات تتنفس وتهمس ، بحنان غير ما يعرف من الأشجار . . فتركتها ومضت إلى البيت . . ولابد أنها تذكرت أن زوجها مسافر ، عندما وصلت إلى باب البيت فحملقت فى البيت بعض الوقت ثم دخلت . . وأقسم لك أنها لا يمكن أن تكون قد لمست الباب . . ودقت الساعة منتصف الليل ، عندما عبرت عتبة الباب . . فوقفت جامدة . . فقد

مضى يوم على جريمتها . . وقد ظل المصباح مضيئاً فى غرفتها بعد ذلك وقتاً طويلاً . . مسكينة هذه المرأة . . أن كل عطور بلاد العرب لا تمحو هذه الوصمة التى لا وجود لها فى الواقع . . والآن لتبدأ العمل يا مارسيلليس . . لن يعود زوجها اليوم . . لقد جاء دورك .

مارسيلليس : سأذهب . . ولكن لا أعرف هل يصادفنى الحظ . وإن كنت أطمع فى الاستمتاع بفضيحة .

باولا : لا يمكن أن تكون أسعد حظا . . يجب أن تفهم هذه الحقيقة . . أنها لم تعد تنتمى إلى زوجها بعد الآن . . بل ربما ترفض أن ترتبط بزوجها ولكن هذا النوع من النساء الذى لا يرتبط بالحب ، يرتبط بالامتلاك -- وهى الآن تنتمى إليك . . وكل ما يجب أن تفعله ، هو أن تستردها . . فلا منافسة بينك وبين القاضى بعد اليوم . . إنما المنافسة بينك وبين شبحك ، وما دمت لا تشعر بالنقص أمام شبحك ، فكل شىء سيكون على ما يرام . .

مارسيلليس : وأين غرفتها ؟

باولا : فى الدور الأول . . والباب فى آخر الممر إذا كنت ستذهب إليها عن طريق مكتب زوجها ، وأنت الآن ترتدى جوارب الصيد هذا رائع ، وليس أروع من فارس يمتطى السلالم .

(يدق الجرس . . خمس . . يدخل خادم)

مارسيلليس : ما هذا ؟

الخادم : سيدة تريد أن تراك . .

مارسيلليس : من هى ؟

الخادم : لا تريد أن تكشف عن اسمها . . سيدة لم أرها من قبل .

مارسيلليس : هل تضع قناعاً ؟

الخادم : لا . .

باولا :هل هى عصبية ؟

الخادم : أهدأ من رأيت .

باولا : عيناها خضراوان .

الخادم : نعم . .

مارسيلليس : دعها تتفضل . .

(يخرج الخادم)

باولا : يبدو أننى وقعت فى مأزق . . سوف أدخل غرفتك . .

مارسيلليس : إنها لا تناسبك ، لن تتمكنى من استراق السمع .

باولا : لقد كانت ليلة مرهقة . . هذه أول مرة أستخدم فيها غرفتك للنوم . . هنا يجىء الخرتيت . . تأكد عند خروجها ، أنها لم تكن حيواناً خرافيًّا .

(تدخل الغرفة وتتقدم لوسيل)

لوسيل : هل أنت الكونت مارسيلليس ؟

مارسيلليس : نعم . .

لوسيل : ومنذ الأمس ألا ترى أنه من غير المحتمل أن تكون الكونت مارسيلليس .

مارسيلليس : فعلاً . . ولكن الحقيقة باقية .

لوسيل : هل كنت تدفع عمرك ثمناً لأن تكون الكونت مارسيلليس ليلة أمس .

مارسيلليس : بل أعطى أكثر مما كان يجب أن أدفعه بالأمس : لأكون ما أنا عليه الآن .

لوسيل : وأن تواجهنى هكذا . .

مارسيلليس : وأن أواجهك أمام الناس . .

لوسيل : وهل نظرت إلى نفسك فى المرآة صباح ذلك اليوم . .

مارسيلليس : لا أتوقف عن النظر إلى نفسى فأنا أبدو شابًّا وجميلاً وسعيداً . . وأنت أيضاً .

لوسيل : نظرت إلى نفسى مرة واحدة . . فرأيت نفسى كما أنا وكما يجب أن أكون . . وبوضوح .

مارسيلليس : ما رأيته يدل على أن واحداً من الناس قد انتقم ، لا من ماض منافق ، ولكن من حياتى أنا أيضاً . . لقد كان هذا شيئاً ثقيلاً على نفسى . . ولكن حدث أن رأيت شيئاً « رائعاً » بعيد المنال وأردته بأى ثمن ، وإذا كنت قد تصورت أنك ستجديننى هنا ممزق النفس ندماً ، فقد فشلت .

لوسيل : لم أفشل . . إنما أرجوك أن تكون كما أنت .

مارسيلليس : لا أعرف إن كان الوجه الذى رأيته فى المرآة قد طلب إليك أن تطلق العدل والكراهية ورائى . . ولكن من هذه اللحظة قد أصبح لدى أمل واحد لا شريك له . . أن أبقى كما أنا الآن . . أذوق أى نوع من الطعام . . وأن أظل أسرح بخيالى ساعة بعد

ساعة ، فى دنيا لم يحلم بها رجل من قبل . . وأن أغذى روحى ولغتى وحواسى ، بذكرى تلك الليلة إلى أن أفاجئك مرة أخرى وأن تكون لى نفس المتعة .

لوسيل : إذن فلقد أصبت عندما قررت أن أجىء إلى هنا . .

مارسيلليس : ولكنك لست هنا إطلاقاً . ألا ترين هذا ولو لحظة واحدة – فلست المرأة التى ننظر إليها والتى يتكلم الآن . . إنما أنت ما كنت بالأمس . . جسم مخدر ، ولكنه شديد الرغبة ، وعينان لا تريان شيئاً ولكنهما متسعتان . . وصوت هامس ، بلا كلمة واحدة . . ولماذا أنت هنا . . لا داعى للكذب الآن . . فقد انتهى ذلك الإنسان الآلى الجامد الذى كنت شبيهة به .

لوسيل : جئت لأراك .

مارسيلليس : وهل رأيتنى . . لقد رأيتنى فى نومك أمس . . هل عرفت الآن ذلك الإنسان السعيد ، على الرغم من أنك أخفيت هذه الرغبة حتى عن نفسك . . ولكن عندما تركك تعلقت به .

لوسيل : ولكننى لست متعلقة بك الآن .

مارسيلليس : ولكنك سوف تفعلين . . إذا لم يكن اليوم فغداً . . وأظن أنك أدركت أننى لم أكن عاشقاً من قبل ، أما الآن فأشد الناس عشقاً .

لوسيل : وهل أبديت هذه الاحتياجات عندما كنت عاجزة عن الاستماع إليها .

مارسيلليس : نعم . . ولكنك استمعت إليها كلها . . واجهتنى بجسمك ،

وكانت وعودك واضحة ودون أدنى شك .

لوسيل : هل عندك زوجة وأولاد ؟

مارسيلليس : عندى زوجة وقد كنت هذه الزوجة يوماً ما .

لوسيل : تهمنى هذه الزوجة وكثيراً ما سمعت الناس يتحدثون عن الكونتيسة مارسيلليس .

مارسيلليس : إنها أمى وحتى أمس لم يكن عندها أى سبب لكى تفخر بى .

لوسيل : ما شكلها .

مارسيلليس : إنها جميلة فى أى حفلة وخصوصاً حفلات الزواج والجنازات . . إنها محترمة إلى حد ما ولها آراء خاصة .

لوسيل : إذن سوف تغفر لى ما سأطلبه منك ولابد أنها ستقدر موقفى . .

مارسيلليس : اطلبى ما شئت ولا تهتمى بأحد آخر . .

لوسيل : أعرف وعندى حق وسوف أتمسك به ، ولكن يبدو أنك لا تدرك ما سأسأل عنه .

مارسيلليس : ليس بعد ولكن النظر إليك يجعل من الصعب علىّ أن أركز انتباهى .

لوسيل : ومع ذلك فإن الأمر واضح جدا وليس لى أن أختار . ولن أتردد فى أن أسألك فأنا أعرف أنك كذاب ومخادع وليست لك هذه الروح السخية الطيبة ، ولكن أعتقد أن عندك شجاعة وإذا كنت مخطئة أرجو أن تصحح معلوماتى . . لا تقترب منى .

مارسيلليس : إننى لم أتحرك وحتى على هذه المسافة فإنه من الأفضل أن أرى زوجتى العزيزة العمياء وقد فتحت عينيها أخيراً .

لوسيل : أعتقد أن هناك شوقاً حتى فى الفجور.

مارسيليس : وأن أسمع زوجتى العزيزة الصماء تتحدث أخيراً . .

لوسيل : إذا استمعت إليها فأنا أعتقد أنه لا يوجد إلا اسم واحد لهذا الرباط بين رجل وامرأة . لقد كنت زوجتك ولست واحدة من هؤلاء الذين يقبلون أى شىء ثم ينسونه فى النهاية ، إن خدعة فاجرة قد ربطت بينى وبينك ، ومن المستحيل أن أرتبط بإنسان آخر ولا أعتقد أنه من الممكن أن أحتقر إنساناً أكثر من احتقارى لك ، ولو قدر لى أن أناديك باسمك لفضلت أن أبصقه دماً ولو قدر لى أن ألمسك لصرخت ، ولكنى لا أستطيع أن أرى كيف أمكن لإنسان أن يتجاهل الحقيقة كما كانت أمام الله . لقد أرغمت الله على أن يكون شاهدى ليلة أمس وقد اغتصبتنى . . ووضعت لى السم فى كل شىء حتى فيما أحب ولا يستطيع اليأس ولا العقل أن ينقذانى . . إن جريمتك لم تترك لى شيئاً أفعله فيما عدا أن أتنازل عن الاحترام الوحيد الذى من حقى أن أحتفظ به وهو احترامى لنفسى ولا يوجد سبب بعد اليوم لأن أحتفظ بنفسى نظيفة ، وعلى ذلك فسوف أقبل هذا الهوان ، إننى مرتبطة بك وكل رباط آخر قد تحطم وضاعت سعادتى وزوجى الحبيب قد راح منى ولم يبق لى سوى التعاسة وهذا الزوج الحقير.

مارسيليس : زوج ؟ إن هذه الكلمة تكفى لتمجيد أى صفة تطلقينها علىّ أشكرك .

لوسيل : احتفظ بالشكر لنفسك . . إننى لا أريد أن أمضى فى هذا الطريق

كحمل عاجز . . فقد كان لى أمس زوج آخر وأريد أن أسترجعه مرة أخرى سيجىء عند الفجر غداً . . وسأجره لحظة دخوله البيت أقصد زوجته هى التى ستلقاه بحب ووفاء تام وبلا تحفظ فغداً يدق الباب . . ولكن من الممكن أن يكون زوجها غداً أيضاً ..

مارسيلليس : إنى أتحداه أن يكون زوجك وأتحداك أن تكون زوجته فأنت قد قلت لى من أمس أنك لم تعودى زوجة لأحد سواى .

لوسيل : بل من الممكن أن أكون أرملة . .

مارسيلليس : أرملتى . .

لوسيل : أعرف أنه من السهل أن أقتل نفسى ، ولكن هذا شىء لا أقبله ، فأنا لم أفعل شيئاً أستحق عليه الموت . وقد رأيت ذلك عندما عدت إلى بيتى حيث كنت أظن أن كل شىء سيغمرنى بالاحتقار ولكن كل شىء قد احترمنى وأضفى علىَّ الكثير من الحنان ، حتى سرير زواجى قد رحب بى واحتضننى تماماً كالسرير الذى كنت أنام عليه وأنا طفلة صغيرة . . ولا ساعة من الليل ولا مطلع الفجر عندما عدت ولا شىء من ذلك جعلنى أشعر أننى منبوذة . . ولو قدر لحجرة صغيرة أن تطلب منى أن أقتل نفسى ما ترددت فى أن أفعل ذلك غير أن الأحجار طلبت منى أن أعيش . . لقد كان يكفينى بالأمس نباح كلب واحد لكى أتحطم ، غير أن الكلاب كانت تلعق وجهى وقد أجمعت على شىء واحد هو أن سفالتك يجب ألا تترك أثراً فى نفسى . وقد

كنت أتمنى أن أحول هذه السفالة إلى نوع من الاصطدام بمرحلة مضت من عمرى ، وأنظر إليك على أنك تنتسب إلى ماض ذهب ولن يعود . . يجب أن تقتل نفسك وحينئذ أتحدث عنك بغير احتقار فما رأيك ؟ .

مارسيلليس : دعينى أولاً أهنئ نفسى لقد بلغت أجمل لحظة فى حياتى وذلك عندما تلقيت زيارة من الموت كتلك الزيارات التى تلقاها دون جوان فطلب إليه الموت أن يقدم حسابا عن جرائمه .

لوسيل : جرائمك لا تهمنى . إننى أتعلق بموتك كما يتعلق طفل بأمه . . إن موتك هو الشىء الوحيد الذى يعيدنى إلى الحياة . .

مارسيلليس : أنا زوجك يا لوسيل .

لوسيل : عندى ثوب أسود سأرتديه غداً وأنتظر جوابك . .

مارسيلليس : ولماذا الانتظار؟ أنت تعرفين جيداً جوابى .

لوسيل : لست متأكدة منه لقد ظللت أرقبك منذ جئت . حتى أمس كنت أظن أننى أعرفك ولكن الآن أعتقد أنى لا أعرفك ، فأنت الآن بعيد عن الموت بُعْدَ محكوم عليه من حبل المشنقة . . إننى أرثى لك فسوف تقطع هذه المرحلة على قدميك .

مارسيلليس : بكل سرور ولكن الرحلة تبدأ بك .

لوسيل : دعنى أخرج . .

مارسيلليس : لن تخرجى فأنت لم تتحررى من زواجك بعد فأنت لى حتى فى أثناء ذلك ولساعات محددة لا يزال لى الحق فى أن أطلب منك كل ما أريد .

لوسيل : يالك من جبان .

مارسيلليس : أنت زوجتى أنت قلت ذلك لا تظنى أننى سعيد بليلة زفافك التى تمت فى غيبوبتك . فأنا أعرف كيف كنت بالأمس تقبّلين وتحتضنين وتحبين ، ولكنك لا تدرين ذلك بعد ، وأعتقد أنه من المناسب أن تعرفى ذلك . إنه شىء رائع أن أرى الفضيلة تتحدث مع الحب .

لوسيل : أكرهك . .

مارسيلليس : أنت لا تكرهيننى . . المرأة لا تعترف بالحقيقة بلسانها ولا ترى أن الحقيقة فى رأسها أيضاً إنما لا بد أن نبحث عنها بالقوة وهذا ما فعلته .

لوسيل : لابد أن تموت ، لابد أن تموت .

مارسيلليس : إذن سأموت هل تظنين إننى أخاف من الموت ؟ لقد وجدتك وفى استطاعتى أن أختفى . . مرينى وأنا أختفى فى أى يوم فى أى ساعة . . أعدك ولكن بشرط واحد وهو أن أضمك مرة أخرى .

لوسيل : لا أسمعك .

مارسيلليس : بل تسمعيننى . . سأقولها مرة أخرى لو قبلت أن تكونى زوجتى مرة أخرى ، أقسم بشرفى إننى سأقتل نفسى . . سأقتل نفسى فوراً بعد ذلك فهل تسمعيننى هذه المرة ؟

لوسيل : لا . .

مارسيلليس : إن يمين الزواج تناديك فنامى . .

أرمان : (وقد ظهر على المسرح) ابعد عنها يا مارسيلليس . .

(يدخل أرمان)

مارسيلليس : لماذا جئت هنا ؟

أرمان : جئت لأجد شيئاً لم أكن على يقين منه . إنه مثل شرفى ولكن الحظ واتانى لا تخرجى يا مدام فى استطاعتك أن تخرجى معى .

مارسيلليس : اخرج من هذا البيت . .

أرمان : لا أنا لا أظن أن هذا البيت ملكى ولكنهم أخبرونى أن زوجتى اعتادت المجىء هنا كل صباح فى العام الماضى . ولذلك فمن حقى أن أجىء مرة واحدة هذا العام ، مرة واحدة فقط ، وقد جئت فى نفس الموعد الذى اعتدت أن تجىء فيه ولن ترانى مرة أخرى هنا .

مارسيلليس : أحب أن أقول لك إنك جئت متأخراً بعض الشىء . .

أرمان : فعلاً جئت متأخراً أنا أوافقك . لقد جئت هنا وزوجتى هى السبب وقد تأخرت تماماً ككل الأزواج الذين خدعتهم زوجاتهم ، تأخرت عاماً أو شهراً سيان ، ولكن جئت إلى هنا منذ بضع دقائق ، وكان الباب موارباً وتسللت إلى هنا واستمعت إلى كل ما دار بينكما وأدركت أننى جئت فى الوقت المناسب .

لوسيل : هيا بنا خذنى معك .

أرمان : افعلى ما أخبرك به ، أبقى هنا حتى أقول كلمتى وعليك أن تحتفظى بالصمت كما فعلت بالأمس فى المقهى فصمتك اليوم سيرد لى ما أخذه صمتك بالأمس وربما أكثر .

مارسيلليس : آمرك بالخروج .

أرمان : لا أتلقى أوامر منك . وإن كنت أفهم مشاعرك وأتوقع أن يبدو غريباً أن ترى رجلاً فى بيتك . رجلا لا يجلس ويتطلع إلى صورك بقلب يدق ويتمسح فيك كحمامة وقلق ويعرف لماذا جاء هنا وهذا يضايقك أنت خائف ألست كذلك ؟

مارسيلليس : أعتقد أنك لست فى وضع يسمح لك بهذه الشهامة . .

أرمان : أعرف ذلك إننى لا أصلح لأى شىء لا كزوج ولا كصديق أعرف هذا إن دورى فى الحياة لم يكن دور الرجل المغرى ، وفى الحقيقة لا يوجد على الأرض إنسان أكثر إغراء من الرجل المغرى .

مارسيلليس : أشكرك أخرج . .

أرمان : لم أكن أمدحك فالرجل المغرى لايكون أى إنسان. إنه ذلك المسكين التعيس الذى يستغله الرجال ليتخلصوا من سخافات النساء أو إلحاحهن الشديد فأنت الضحية أيها المسكين ، خذ مثلاً بولا زوجتى .

مارسيلليس : لا شأن لبولا فى هذه المناقشة إنها صديقتى هذا كل ما هناك . .

أرمان : أنت لا تفهم أى شىء بوضوح يا مارسيلليس . أنت تنظر إلى اليوم كأنه أى يوم آخر ولكن عندما فتحت نافذتى اليوم أدركت أن اليوم له ما بعده ، فالسماء زرقاء صافية وهناك خط خفى يقسمها إلى نصفين وفى استطاعتك أن تقول إنها سماء المحاكمة . ليتك فتحت نافذتك صباح اليوم ونظرت إلى ذلك الخط فى السماء إذن لشجعك على أن تقدم كشف حسابك ولأغراك أن

تكون مخلصاً بدلاً من أن تقول إن بولا صديقتى ليس أكثر من ذلك ، إنه لشىء مضحك ألا يتوقف زوج مخدوع مثلى عن الكلام عن زوجته .

مارسيلليس : بل المضحك أن نجد الأزواج الذين يتوهمون أنهم مخدوعون أكثر ضيقاً من الأزواج المخدوعين بالفعل .

أرمان : إننى رجل ذكى ومخدوع هذا صحيح يالبولا المسكينة ، إنها عددت علاقتها على قدر ما تستطيع ولكنها لم تفكر فى القضاء على الأدلة التى تدينها . . لقد أحرقت كل الخطابات ولم تقبل صورة واحدة ومسحت كل علامة فى كل هدية تلقتها . وعندما كنت تعطيها الورود كانت تضيف إليها واحدة أو اثنتين من حديقتنا لتخفى مصدر هذه الورود ، ولكنها لم تفلح فى أن تضعف ذاكرتى كأنما كل شىء كان فى لا شعورى قد نقش على ذاكرتى فبدا واضحاً فى ضوء التعاسة . . لقد وصلت إلى يوم الحساب يا مرسيلليس لاشك أن بولا اعتادت المجىء إلى هنا عشرين مرة . . مائة مرة عرفت هذه الغرفة بكل دقة . اعتادت أن تضىء هذه المصابيح وأن تطفئها وعرفت هذه المقاعد الوثيرة . . ولو ناديت باولا لخرجت بنفسها فوراً هل أناديها ؟ .

مارسيلليس : أنت مجنون . .

أرمان : لا تقلق لن أناديها لن أناديها أبداً لقد دلنى العطر عليك لا عليها فأنت الذى يجب أن أحاسبه لكن ليس بسببها . .

مارسيلليس : إذن بسبب مدام بلانشار .

أرمان : بالضبط ويسعدنى ذلك فأمس اعتقدت أننى أفكر فى بولا فلاشك أن أحلامى وأفكارى بدأت بها فى يأس واحتقار ولكن اتجهت جميعاً نحو إنسان آخر . . وفى يقظتى أمس وجدتنى أنتقل من الكراهية والغيرة إلى السعادة . . إن معرفتى بمدام بلانشار قد ملأتنى حياة وأملاً .

مارسيلليس : إن مدام بلانشار لا تزال حية وهى تخصنى وحدى . . سنعرف إلى من تنتمى ، ولكن قبل كل شىء يجب أن نركع أمامها فالشكر لها . . فقد تحولت مدينتنا التعيسة إلى شىء أفضل فقد كانت تنقصها العظمة والبطولة ، فمدام بلانشار لم تأت معها فقط بالعناية الإلهية والحياة القويمة البسيطة إنما غيرتنا جميعاً . . غيرتك أيضاً أنت الفاسق الذى لا يتعب وغيرتنى أيضاً أنا الزوج المخلص . . وأشاعت أضواء بيننا كأنها الموت وليس أمامنا وقت نضيعه . . جئت لكى أنازلك بسبب بولا ولكن اكتشفت أننى نسيت بولا قبل أن أجىء إلى بابك ثم استمعت إلى الحوار بينكما والآن إذا لم يكن لديك مانع دعنى أنازلك من أجل مدام بلانشار .

مارسيلليس : كما تحب أيها الحمار أنا تحت أمرك وليكن ذلك من أجل كل امرأة جاءت إلى هذا البيت إذا شئت .

أرمان : إنها نفس النتيجة وعلى أى حال فأنا لا أحسن التعبير عن نفسى ورأيك لا يهم فإذا وافقت مدام بلانشار فليكن ذلك من أجلها .

مارسيلليس : وكما تعرف أنت جيداً مادمت قد تجسست علينا فهذه ولاشك رغبتها .

أرمان : أسكت لقد سمعت ما قلته يا مدام وأنا أوافقك تماماً على أن هذا الرجل قد اقتحم حياتك بجريمة . . والطريقة الوحيدة لكى تخلص حياتك منه هى أن نخلصه من حياته . . فاسمحى لى أن أنازله فقد حطم حياتى أيضاً وليس من الصعب أن نرى فى هذا المنزل عدل السماء فما رأيك هل تقبلين ؟

لوسيل : هو لن يقبل لأنه جبان .

مارسيلليس : فى استطاعتك أن تبعث شهودك سأبقى فى البيت طول الليل .

أرمان : لا نستطيع أن ننتظر حتى يأتى الليل فقد تعذبت كثيراً مدام بلانشار . أما شهودنا فينتظرون فى الحقول ومعهم المسدسات . . وقد ذهبت لإعداد هذه المبارزة ولم يتردد واحد منهم فهم جميعاً يعرفون حكايتك مع بولا . .

مارسيلليس : لا مانع .

أرمان : وهكذا ترين يا سيدتى أنه ليس جباناً . . إنه مغرور ودمه يجرى فى جسمه بلا قلب وهو يعرف براعتى فى إطلاق النار أما هو فأقل منى بكثير لقد كانت له أم محترمة وكانت له مربية تحبه وكلاب تعبده ولكنه ليس جباناً هل تقبلينى مدافعاً عن شرفك .

لوسيل : (تهز رأسها) نعم . .

مارسيلليس : إذن فلننزل إلى الشارع أيها البطل الهمام . . وأحب أن أقول لك شيئاً لكى ترتفع مفهوماتك . . إن جمال باولا لا يقاس بجمال

بلانشار عندما تكون غائبة عن الوعى .

أرمان : أنت فى إجازة منها . . إجازة إلى الأبد . . أهذا كل ما أردت أن تقوله .

مارسيلليس : نعم . . وحتى إذا لم تقبلك مدافعاً عنها ، لقلت لها شيئاً أستحق عليه قبلة ، قبلة امتنان . . أجمل قبلة أخذتها من امرأة ، ولكنها لن تسمعنى الآن ، سواء عشت أو مت ، ولا أنت أيضاً .

أرمان : انتظرى حتى نخرج يا مدام . . ثم عودى إلى بيتك . . وسوف تكون عندك أخبار عنا ، سواء انتصرنا أو انهزمنا .

لوسيل : عد بعد ذلك .

أرمان : إلى اللقاء يا مدام . . أشكرك لهذا الشرف الذى أوليتنى اليوم ، وأشكرك للشرف الذى منحتنى إياه .

(يخرج أرمان ومارسيلليس ، وتدخل باولا)

باولا : لحظة قاسية عليك يالوسيل ، ولكنى هنا صديقة لك .

لوسيل : كان لابد لى أن أعرف أنك لن تكونى بعيدة عن هذا المكان .

باولا : أعدك بأن أكون صديقة لك . . ليس هذا خداعاً . .
فكل عالم جديد له لغة جديدة والصديقة فى مثل هذه الحال لا يمكن أن تتحدث عن الأزياء وشغل البيت . . إنما الصديقة هى التى تقف إلى جوارك فى حياتك الجديدة ، حياة امرأة واحدة فى عالم الرجال ، يجب أن تكون الصديقة توأماً لك ووسيطة أيضاً . . وهذا كله ما أستطيع أن أقوم به .

لوسيل : أعرف ذلك . . هذا الكابوس المزعج كان من تدبيرك .

باولا : أى كابوس مزعج ؟ لقد جاء اليوم لكى تكفى عن القيام بدور العذراء العنيدة . . لقد جاءك الحب وأنت غائبة عن وعيك . . تماماً كما باغت حواء ، وهى فى الجنة ، ما أسعدنا لو كان الحب يجىء دائماً هكذا ، إنه اختصار فى المشاعر وفى الجهود .

لوسيل : ولماذا وضعت لى الحبوب المنومة فى الماء يا باولا ! لماذا كنت جبانة إلى هذه الدرجة ؟

باولا : أخيراً جاء اسمى على لسانك . . لقد سقطت الحواجز بيننا .

لوسيل : اسكتى . . أنت تنتظرين موت رجل ومع ذلك تتحدثين بهذه اللهجة .

باولا : إن هذا شىء عادى جدا . . إن الناس يتحدثون فى حضور الموتى . . انظرى كيف تفعل زوجتان خارجتان عن القانون وغير متحابتين ، إنهما جارتان فى نفس الوقت الذى يهدد الموت اعز الناس عليهما . . وهذا هو السبب الذى من أجله يموت الناس فى عائلتنا ، إن الأسباب الحقيقية لهذا النقاش من الممكن حسمها على ضوء الموت .

لوسيل : وعلى ضوء الكراهية أيضاً . . ألا ترين هذا ؟ .

باولا : الكراهية لا تعالج شيئاً يا لوسيل ، سوف تكون عندك فكرة أوضح وأحكم عن هذا الحادث حالا . . من أجل هذا جئت لمساعدتك أنت ترين أن الغلطة فظيعة ، ولكن يمكن علاجها . . ولكن لا غلطة فظيعة ممكن . . ولا علاجها ممكن ، فلا علاج لما حدث ، ولا يهم أن يكون هناك علاج . . فالحب لا يترك أثراً

يا لوسيل ، فالمرأة عندما تتعب من شيء فإنما تتركه أو تنساه ، إننى كثيراً ما أمر على أناس فى الشارع لا أشعر لهم بأى أثر ، لا يلمسون خيالى ، ولا تجذبنى رجولتهم . . وتأكدى أنهم جميعاً كانوا عشاقاً لى فى الماضى .

لوسيل : الجرس يدق . . الجرس يدق لابد أن المبارزة قد انتهت .

باولا : لا . . ليسا هما . . أحب أن تعرفيهما أكثر . . أنهما يأخذان الأمور مأخذ الجد ، لدرجة أنهما لا يستعجلان فى حل مشاكلهما . . أولاً يجب أن ينحنيا باحترام للشهود ، وواحد منهما على الأقل يجب أن يخلع كرافتة ، وهذا شيء مهم جداً عند الرجال ، ثم يجيء الطبيب ويقترب منهما ويكشف عليهما . . حتى العربات التى تنقلهما يجب أن تمشى على مهل ، فالخيول لها مشية معروفة اسمها مشية المصارعة . .

لوسيل : تتكلمين كثيراً يا باولا . . أنت تتظاهرين بالهدوء . . وعندما تهاجمنى امرأة مثلك لها كل هذا الجمال والدلال والتجارب ، فهذا يدل على أنك خائفة . .

باولا : خائفة منك .

لوسيل : ليس منى ، ولكن من نفسك . . فأنا أعلم أنك تحتقرين نفسك ، فإذا واجهتنى تشعرين بضآلتك وعارك ، لدرجة أنك لا تتوقفين عن السخرية منى بينما أنا أتعذب .

باولا : أنت فى مأساة ، وأنا فى الواقع ، وهناك خلاف شديد بيننا . .

لوسيل : لاتحاولى أن تجذبينى إلى جانبك من الحياة . . فأنا على مستوى

هذه التعاسة لا أستطيع أن أعتمد على كل موارد الله من المعجزات حتى الموت . . إنما أقف إلى جوار الذين تعذبوا من هذه الحياة ، فابتعدوا عن هذا العالم الفاسد ، واحتموا فى عالم آخر كل شىء فيه ممكن . . لن تستطيعى أن تهبطى بى إلى مستواك .

باولا : أعتقد أنه من السخف ، بمناسبة حادثة بسيطة أن تنتظرى معونة القديسين والشهداء .

إن الإنسان يطلب من يحب ، فأنا عندما ناديت ستجىء كل النساء اللاتى يعتقدن أن ماحدث يمكن إصلاحه أوالتكفير عنه . . وتلك العاريات أمام الناس واللاتى يجعلن من عريهن رداء جديداً يمشين به أمام الناس فى الشوارع ، وتلك اللاتى نزعت أظافرهن ، وتحولت الدماء فى أصابعهن إلى أظافر ، ويمضين فى عملهن أو اللاتى تمددن إلى جوار النار ، وتهبط أعواد الحديد الساخن فى إيقاع موسيقى سماوى على أجسادهن ، ثم ينهضن ويغنين . . كلهن يؤكدن لى أننى لابد أن أعود إلى البيت . . وسوف أتمدد على سريرى ، كأن أحداً لم يمسسنى . . أما الثمن فهو وفاة مارسيلليس ، وما دام الله هو الذى واجهنى بهذا المأزق ، فإنه وحده هو الذى يميته ، وليس أنا . . والآن سيجيبك الله عن سؤالك لقد عاد أرمان .

الخادم : القاضى بلانشار تحت يا سيدتى .

(يدخل الخادم)

لوسيل : غريبة . .

باولا : ماذا يريد ؟ . .

الخادم : سمع أن مدام بلانشار هنا . . وهو ينتظرها

باولا : لحظة صمت فى المأساة ، بينما نحن غارقتان فى مهزلة منزلية . .

لوسيل : هل بعثت فى طلبه ؟

باولا : لا . . ولكن توقعته . . وأن يجىء هذه غلطتك . . فأمس فى المقهى ، خنت بلا تمييز جميع النساء فى العالم ، وأثرت الرجال ليصرخوا ضدنا ، واليوم بين أركان العالم سيصل الرجال بسرعة ، ويخرجون على مهل ، وتصدق تخميناتهم ، ويصبحون شيئاً لا يحتمل ، فالله هو الذى اختار زوجك ، فلا تلومى أحداً إلا نفسك . . ماذا تنوين الآن ؟

لوسيل : لا أريده أن يرانى . . لا أريد أحداً أن يرانى ، حتى يعود أرمان .

باولا : لا يهم كثيراً أن يراك زوجك . . لن يلاحظ أن شفتيك أكثر احمراراً ، وأن عينيك أوسع قليلاً ، فالأزواج لا يرون . . ولكن الذى يهم هو أن تريه أنت ، وتريه بعينى امرأة خائنة لأول مرة . بعد سنوات كنت عمياء لا ترينه . والآن سترينه لأول مرة ، كما هو على حقيقته . وهذا ما يخيفك وفى استطاعتى أن أفهم ذلك . وهذا هو انتقامى يا لوسيل . . سترينه على حقيقته تماماً . . بالأمس كان رجلاً بسيطاً ، كريماً ، طيباً ، ولكن كيف يبدو لك الآن عندما ترينه من خلال الباب . . سترين رجلاً لا تعرفين عنه إلا القليل .

لوسيل : إذن فدعيه يدخل ، فى استطاعته أن يعرف كل شىء .

باولا : لا تكونى بلهاء ، وحاولى أن تفهمينى . . ومهما كانت كراهيتى لامرأة ، فإنها فى نظرى لا تزال أعلى من أى رجل ، وفى نيتى أن نكون صديقتين . . فنحن قد تصارعنا عاريتين منذ الأمس ، هذا ولا شك يقرب بيننا ويلزمنى بأشياء كثيرة . . أمامك هذا السلم انزلى . . إنه يفضى بك إلى الشارع . . إن زوجك لا يعرف شيئاً . . وسأخبره أنك جئت إلى هنا كصديقة لى ، لمعاونتى فى محنة أصابتنى . . وأنك خرجت من لحظات وسأبقيه هنا أطول وقت ممكن حتى تدبرى أمورك .

لوسيل : إلى اللقاء . .

باولا : وداعاً يا لوسيل ، إلى أن نجلس فى الليل كفتاتين تأكلان الآيس كريم تحت أشجار الليمون ، كأن شيئاً لم يحدث .

لوسيل : مستحيل . .

باولا : لا . . بل سوف يحدث كثيراً . .

لوسيل : لن أكون من فصيلتك ، أنت صاحبة الحيل الشيطانية ، لا فائدة منك . . إنك تتسحبين كالأفعى وتهمسين ولكن لا فائدة لك من وراء هذا كله .

(تخرج لوسيل)

باولا : (ببطء وتهمس) فعلاً يا لوسيل . . فعلاً لا فائدة . .

« ستار »

الفصل الثالث

(بيت القاضى بلانشار . . وفى مكتبه الخاص الذى يفضى إلى غرفته وغرفة زوجته . . وفى المكتب بعض التماثيل الرومانية) .

(ليونيل بلانشار .. وكاتب المحكمة) .

بلانشار : **(أمام مكتبه)** هات حيثيات حكم قضية آل توماس . . لقد أخبرنى كانيون أنه سينظر فى هذه القضية بعد ظهر اليوم .

الكاتب : لقد قابلت مدام بلانشار على السلم ودخلت غرفتها دون أن تكلمنى .

القاضى : لابد أنك ارتكبت خطأ فمدام بلانشار ليست موجودة هنا .

الكاتب : إذن فسوف تجد منها نسختين فى غرفتك لقد رأيتها منذ لحظة فى غرفتك .

(يخرج الكاتب ويتردد القاضى بلانشار ثم ينهض ويدق باب غرفة زوجته)

بلانشار : هل أنت هناك يا لوسيل

(وعندما يسمع وقع أقدام الكاتب يعود إلى مكتبه)

الكاتب . إن توماس لا يزال يحتج ويقول إنه غير مذنب ويمسح يديه بزيت الزيتون .

بلانشار : إذن فالمباحث لم تتمكن من إرغامه على الاعتراف بأنه قتل زوجته قبل أن تبدأ المحاكمة .

الكاتب : ليس بعد أن يبعثوا إليه بزيت الزيتون ظهر اليوم .

بلانشار : لقد منعت عنه المباحث بنجاح وفى نفس الوقت بلا فائدة كل ما يحبه من الخرشوف والطماطم ويبدو أن هذه الطريقة من التعذيب أقل جدوى من طريقة نزع الأظافر . . هات لى أقوال الشاهد الأول .

الكاتب : سأحضرها فوراً . .

(ويخرج ، بينما ينهض بلانشار ويدق باب غرفة لوسيل)

القاضى : لوسيل إننى أنا ليونيل لقد استدعيت إلى البيت بسرعة هل أنت هناك ؟ هل أنت هنا ؟ إننى أسمعك افتحى الباب ماذا حدث ؟ لماذا أغلقت على نفسك الباب أرجوك أن تفتحى الباب حتى لوكنت مشغولة فى كتابة خطاب لتضعيه فى يدى قبل المحاكمة . . أحد خطاباتك الجميلة التى تتمنين فيها التوفيق لى قبل الجلسة .

(وعندما يعود الكاتب يرجع بلانشار إلى مكتبه ويوقع على بعض الأوراق التى أتى بها الكاتب)

الكاتب : على كل حال فإن هذا التعذيب يا سيدى كان ناجحاً فى حالة الرجل الذى قتل أباه لعلك تذكره فهو لم يشأ أن يعترف أن

حرمانه من سلطة الكرنب قد جعله ينهار ويعترف بكل شيء فقد وضع الدبابيس فى النار لعلك تذكر ذلك وعندما أصبحت شديدة الالتهاب . .

القاضى : متى ارتكبت هذه الجريمة بالضبط ؟

الكاتب : سأحضر لك الدوسيه فوراً .

القاضى : لا تحضر إلا عندما أدق لك الجرس فعندى الآن ما يشغلنى .

(يخرج الكاتب ويحضر الخادم بعض الزهور يضعها على مكتب القاضى ، بينما يرجع بلانشار إلى باب لوسيل)

القاضى : هل أنت مريضة يا لوسيل ، ردى علىّ أرجوك ؟ قولى شيئاً إذا لم تفتحى الباب فسأحطمه فى الحال .

(ينفتح الباب وتدخل لوسيل)

القاضى : أخيراً يا لوسيل . .

لوسيل : لماذا عدت بسرعة يا لونيل ؟

القاضى : بسرعة ؟

لوسيل : ولماذا دققت علىّ الباب ؟ ولماذا جعلتنى أفتح لك ؟

القاضى : ظننت أنك فى حالة إغماء ولم أعرف ما الذى أفعله .

لوسيل : لم تعرف ما الذى تفعله ؟ فما الذى تفعله الآن .

القاضى : إننى بخير الآن فأنا أرى زوجتى مرة أخرى وقد أحضرت لها بعض الزهور .

لوسيل : الزهور ، إذا لم يكن أرمان أعمى .

القاضى : لا تضايقى نفسك بهذه المبارزة فقد حذرتنى بولا من نتائجها

ولذلك فقد أرسلت بعض قوات البوليس لإيقافها .

لوسيل : وهل تظن أن البوليس يصل فى الوقت المناسب

القاضى : لقد ذهبوا بسرعة ، إن حياة أرمان تساوى إنقاذها ، أما مارسيلليس فهو شخصية هامة .

لوسيل : وهدف هام أيضاً . .

القاضى : أرجو ألا أكون ضايقتك عندما ذهبت للبحث عنك سامحينى فأنا عدت لم أحتمل أن أكون وحدى فى البيت بدونك . . أى فازة سنضع فيها هذه الزهور .

لوسيل : وكيف بدا البيت من غيرى ؟

القاضى : كان مليئاً بك كما هو ملىء الآن على الرغم من أنك لم تكونى موجودة ، إنك تصنعين مربة التوت أليس كذلك . إن رائحتها جميلة فأنا أحبها ولو حرمتنى المباحث من مربة التوت لاعترفت علناً بأنى أحبك ثم جلست إلى هذا المكتب ونظرت إلى هذه الأقلام التى بريتها ووضعتها على مكتبى فأحسست أنك تحبيننى وانتظرت وأمسكت هذا القلم الجديد وأشكرك على أنك تذكرت أنه أحسن أقلامى ، وهذه القضية المعروضة اليوم قضية الرجل الذى قتل زوجته هى أهم وأروع قضية فى حياتى . مما يؤسف له أن أول جريمة فى العالم كانت من رجل ضد رجل ، ومعنى ذلك أننى لن أستطيع الإشارة إليها فى خطبتى ولكنى سأشير إلى أول امرأة قتلها زوجها وكان اسمها سارة . ولابد أن قصة سارة ستكون شديدة الوقع على المحكمة ، لقد تمرنت على خطبتى أمام المرآة ولم

تكونى موجودة هنا كما هى العادة لتساعدينى برأيك ، إن عزيزتى لوسيل لم ترتد مسوح العدالة لتأخذ بيدى فى اكتشاف الجريمة ولذلك كان لابد أن أذهب وأبحث عنها .

لوسيل : وهل وجدتنى الآن ؟

القاضى : بالطبع وجدتك .

لوسيل : وستأخذنى بين ذراعيك ؟ وتقبّلنى ؟

القاضى : بأرق أنواع الامتنان التى يكنها زوج وقاض مسئول عن جريمة توماس .

لوسيل : وهل ترانى بوضوح ؟

القاضى : رائعة .

لوسيل : دعنى أخرج .

القاضى : آسف لإزعاجك .

لوسيل : لقد تغيرت منذ الأمس ألا ترى ذلك ؟

القاضى : تقصدين فستانك أو نظراتك إننى لا أجد فارقاً واضحاً .

لوسيل : شعرى . . فستانى . . شفتاى . . هل ترى هذا بوضوح .

القاضى : شفتاك عن أى شىء تتحدثين ؟

لوسيل : إن التغيير واضح شديد الوضوح ومع ذلك فأنت لا تراه .

القاضى : أنت رائعة يا لوسيل ماذا حدث لك ما الذى فعلته بالأمس ؟

لوسيل : وما الذى فعلته أنت بالأمس يا لونيل فى الساعة الثامنة مساء ؟

القاضى : يا إلهى الآن فهمت إذن فأنت غيورة . فبالأمس فى الساعة الثامنة فى التاسع والعشرين من يوليو كنت أتناول عشائى فى كافييون وفى

الساعة الثامنة بالضبط كان المستشار يفتح زنجاجة وقد شربنا نخبك عدة مرات .

لوسيل : ولم نجد عقرباً فى قاع الزجاجة .

القاضى : أبداً . .

لوسيل : إذن فقد كنت أوضح رؤية بالأمس عما أنت عليه اليوم . اسمع يا لونيل لا تسألنى كثيراً إنما أفعل ما أطلبه منك أخرج فوراً أرجوك فالعربة لا تزال بالباب وعد غداً فى الوقت الذى كان مفروضا أن تجىء فيه . . سيصبح كل شىء على ما يرام غداً .

القاضى : ولكن ما الذى حدث ؟ تقولين إنك تغيرت بينما تنظرين إلىّ كأننى لم أعد ذلك الشخص الذى تعرفين من قبل .

لوسيل : ستكون ذلك الشخص غداً أخرج أرجوك .

القاضى : يا عزيزتى لوسيل إننى لم أتمكن من اصطحابك معى . فقد كان من المحتم أن أنهى تلك القضايا المؤجلة التى تركها سلفى فلا تلومينى على ذلك ومن الآن فصاعداً لن أتركك وحدك وقد أتيت لك بعربة جديدة وجعلتها لك مفاجأة وفيها صندوق خاص لحمل الأطعمة الباردة وصندوق للشوك والسكاكين والأطباق والفناجين منقوش عليها الحروف الأولى من اسمينا لقد أمرت لك بغطاء جديد لهذه العربة لمواجهة الريح عندما نتنزه بين الحقول وبنظارة ، كما كنت تريدين دائماً لكى نتمكن من متابعة الطيور فى السماء ورؤية أى شبح من الأشباح الهائمة بين القلاع القديمة التى نمر بها ولكن هناك نقطة يجب أن أوضحها لك . . إن

مستقبل أى رجل ناجح يعتمد أكثر من كل شيء على اعتدال مزاج الزوجة والثقة بها ، وأساس كل مشروع ناجح يقوم به رجل وجذور كل مستقبل مثمر هى المرأة التى لا تتغير فى نظراتها ولا فى حركاتها ولا فى صوتها ، فالرجل الفريد سيجد دائماً امرأة مساوية له ، وكذلك أى رجل لامع وموهوب ، وكذلك كما هو فى حالتى أى رجل من رجال العدالة إنما أعيش حياة مليئة غنية مفيدة لأننى لست فى حاجة لأن أتفاوض لفتح أبواب الأمزجة المتقلبة وأبواب الشوق فى قلبى ، هذه أول مرة أنظر فيها إليك وأرى وجهاً لا أعرفه بوضوح . . هل كرافتتى ليست مربوطة ؟ هل هى ممزقة ؟ .

لا لن تذهبى إلى غرفتك إننى أمنعك .

لوسيل : أرجوك دعنى وحدى إلى أن تجىء أخبار عن المبارزة .

القاضى : أنت مشغولة بهذه المبارزة أستطيع أن أعدك أنه لن تكون هناك مبارزة ، ففى اللحظة التى يقرران فيها بداية المبارزة سيخرج الشهود من المنطقة وقبل أن يخلع المبارزان كل جاكتته ويفك كرافتته ستتقدم قوات البوليس وتمنعهما من الاستمرار . .

اجلسى هنا إلى جوارى .

لوسيل : إنما يجب أن أوجه إليك سؤالاً .

القاضى : عندما أفرغ من مراجعة الحكم سأقرؤه لك فركزى انتباهك فيه وسجلى ملاحظاتك كما يحلو لك .

لوسيل : إنه سؤال كالبرق الخاطف فإذا لم يستطع العقل أن يجيب عليه

بنفس السرعة فلن أستطيع أن أوجهه مرة أخرى لقد انتهى كل شىء إلى الأبد .

القاضى : إنه ليس فى مقدرة القاضى أن يجيب على أسئلة خاطفة .

لوسيل : أفرض فى بداية حياتى أن كان لى زوج آخر وأن أصبحت اليوم أرملة هل تقبلنى زوجة لك من جديد .

القاضى : كفى هذه الأسئلة الصبيانية السخيفة . . لو لمس إنسان آخر زوجتى فى الماضى أو فى المستقبل ما لمستها أنا مدى الحياة .

لوسيل : حتى لو كانت فى غير وعيها بلا حياة ولا وعى

القاضى : الجسم ؟ لا يغيب عن وعيه .

لوسيل : الجسم ؟ كيف تستخدم هذه الكلمة المخيفة كيف تقول إن لى جسماً .

القاضى : أنت أرغمتنى . . هنالك ألف طريقة للكلام عن الروح ولكن الجسم هو الجسم حتى لو كان جسمك . . فلو لمس رجل زوجتى فلن أمسسها أو أتحدث إليها مرة أخرى مدى الحياة .

لوسيل : إذن وداعاً . .

القاضى : ولكن ماذا حدث ؟ ماذا تريدين أن تقولى .

لوسيل : الذى حدث هو أنك لن تمسسنى مرة أخرى ولن تخاطبنى بعد اليوم .

القاضى : هل جرؤ إنسان على أن يضع يديه عليك .

لوسيل : بل على الزواج منى .

القاضى : لا تستخدمى مثل هذه الكلمة المضحكة هل لمسك إنسان .

لوسيل : نعم . . لماذا عدت بسرعة يا لونيل لقد كان كل شىء طيبا وبريئا

يتجمع حولى من أجل إنقاذى ولكن بعودتك المفاجئة قد أفسدت كل شىء .

القاضى : إذن فهو مارسيلليس ولهذا ذهبت إلى بيته .

لوسيل : وضع لى دواء منوماً ليلة أمس وحملنى إلى أحد بيوته ولما استيقظت لم أجده .

القاضى : اقسمى على ذلك . . اقسمى أن ما تقولينه صحيح

لوسيل : بل إننى لم أره . . أما السبب الذى دفعنى إلى الذهاب إلى بيته صباح اليوم . .

القاضى : هو أن تجعلى للجريمة وجهاً وصوتاً . . أن تمنحيه عينين يراك بهما .

لوسيل : بل لأسأله أن ينتحر وفى نفس اللحظة ظهر أرمان ليبارزه بسبب زوجته وأنا الآن أنتظر .

القاضى : وتركت لإنسان آخر شرف الانتقام لك .

لوسيل : مازلت أحتفظ بشرفى إنه الشىء الوحيد الذى لم يمسسه بشر .

القاضى : وتذهب بك الجرأة إلى أن تسمى هذه الفعلة الشنيعة زواجاً ثانياً .

لوسيل : هذه هى الطريقة الوحيدة لكى أطهر بها هذه الفعلة . . حتى أنت ؟ حتى أنت ؟ .

القاضى : وتذهب بك الجرأة إلى أن تسمى قبلاته لك قبلات زوج .

لوسيل : صدقنى يا لونيل استمع إلىّ أرجوك .

القاضى : وتسمين نفسك زوجة له حتى الموت .

لوسيل : ربما تكون هناك دقيقة واحدة أو دقيقتان .

القاضى : بل قد لا تكون دقيقة مهما حدث .

(ويسحب مسدسه من درج مكتبه)

لوسيل : انتظر يا لونيل أرجوك .

(ويخرج القاضى ويصطدم بالكاتب)

الكاتب : يا مسيو بلانشار .

لوسيل : ماذا تريد منى . .

الكاتب : يا سيدتى إن أهم دلائل الإحراز فى قضية توماس قد اختفت من الدولاب : أنبوبة سم قد وضعتها هنا بالأمس .

لوسيل : يحسن بك أن تسرع فى البحث عنها . . ابحث عنها بسرعة .

(يخرج الكاتب ويدخل أرمان)

أرمان : وداعاً يا لوسيل .

لوسيل : إذا مات . .

أرمان : إنه يموت لقد تمكنت من الهرب من البوليس أردت أن أراك قبل أن يعتقلونى .

لوسيل : إذا مات .

أرمان : محكوم عليه بالموت لقد أصابه الله بذلك المرض الذى يصيب به كل إنسان يريد أن يفقده ، وقد كان موته بطيئاً .

لوسيل : لقد تأخرت جدا يا أرمان .

أرمان : لقد جئت مسرعاً بأسرع مما أستطيع ولكن أعرف أن عربة زوجك أسرع بل أسرع من الموت نفسه .

لوسيل : نعم إنه هو هنا . .

أرمان : ولكن مارسيلليس ذهب وهذا هو الأهم .

أرمان : (بعد فترة صمت) هل أنت متأكد يا أرمان ؟ .

أرمان : بقدر ما أنا متأكد من أننى منتقم ولست مجرماً .

لوسيل : سامحنى يا أرمان ولكن أعتقد أننى أخطأت .

أرمان : أخطأت بأن كنت صادقة مع نفسك ؟ .

لوسيل : بل بأن كنت شديدة الكبرياء لماذا قلت لمارسيلليس إننى زوجته ، أن أسمى ذلك زوجاً بدلاً من أن أسميه تعاسة كبرى لماذا لم أسعد بأن أكون الزوجة الخائنة لزوج عاشق تعيس . . لا يزال فى استطاعتك ذلك ، فالزوج والتعاسة لا يزالان موجودين هنا .

لوسيل : هذا ما لا أعرفه بالضبط يا أرمان وهذا ما يفزعنى فالرجل الذى رأيته من لحظات لم يكن الزوج الذى ظننته بالأمس فقد رأيت رجلاً لم أره من قبل . . رجلاً لم أحببه قط .

أرمان : عندما يصدم الرجل فإنه لا يجد بسرعة القناع المناسب الذى يضعه على وجهه أمام الكارثة ، فقناع الزوج الغاضب هو أسهل الأقنعة ولابد أنه قد وضعه على وجهه . اتركيه بعض الوقت فسوف ترين وجهه الحقيقى .

لوسيل : لن أنسى أبداً وجهه الآخر . . كم هو مفزع يا أرمان فعندما يأخذ إنسان زوجة رجل منه ، يتحول من رجل عادل طيب كريم إلى وحش أنانى ولكن هذا هو ما رأيته بعينى ، فرداء فضيلته الرائع الذى كان يعتز به وأنا أيضاً قد سقط فجأة وقد تحول إلى خرق بالية . . فكل ما يقوله يبدو كالنفاق والغباوة حتى عندما يستخدم كلمات الشرف والعدل والأسرة . . حتى رائحة عطره التى

اخترتها له وقماش ملابسه الذى اخترته أيضاً كل ذلك بدا غريباً منفراً مثله تماماً .

أرمان : (**بعد لحظة صمت**) ولماذا تقولين لى كل هذه الأشياء التى كان يجب أن تقوليها لنفسك .

لوسيل : لكى تزيدنى تأكيداً أرجوك يا أرمان أن تقول لى ما هو الرجل وابعد عنى هذا الكابوس المفزع وسوف أصدقك .

أرمان : ما هو الرجل ؟ من معرفتى بنفسى أستطيع أن أقول لك إن الرجل لا هو معقد ولا هو شىء فريد .

لوسيل : بل كريم وقوى أليس كذلك ؟

أرمان : بل مغفل وواهم فهو يصدق أولاً إذا كان متواضعاً أن الدنيا له تماماً . . أما إذا كان ذكيا فهو يصدق أن المرأة له وأن الحب له . . وعندما يذهب أمله فى الحياة ويكتفى بملذات الحياة نفسها فإنه يئن فى صمت بالليل ويبكى بغير دموع .

لوسيل : أهذا كل شىء عن الرجل . .

أرمان : كل شىء حتى أمس .

لوسيل : استمر وما الرجل اليوم . .

أرمان : اليوم قد قتل الرجل الذى لا يؤذى أحداً . . قد قتل وسيذهب إلى السجن بهذه الجريمة لقد حطم حياته ورآك وهو سعيد .

لوسيل : أشكرك . . ليونيل سيعود إلى اللقاء . .

(**تدخل باولا ووراءها باربيت**)

باولا : وشىء آخر وهو أن الرجل كاذب إذا كان من النوع البسيط

ضعيف وواهن إذا كان من النوع العاطفى ، أما إذا كان خجولاً فهو يقامر بمستقبله بجنون وأنا أعنيك بهذا .

أرمان : من الذى أتى بك إلى هنا ؟ ومن هذه المرأة ؟

باولا : إنها رائعة ألا تراها كذلك . إنها على أى حال رائعة كالمستقبل الذى ذكرته .

أرمان : لماذا جئت هنا ؟

باولا : لأشياء كثيرة من ضمنها أن أستمع إليك . إن الموقف يساوى كل ما بذلت من تعب ، إنى على يقين من أنه لم يحدث أن توج الشهداء بعضهم البعض بأكاليل الغار كما رأيت الآن . . قد تظنان أنكما تتحديان الموت لكنى أراكما تصرخان بالحب كائنين من القطط . جئت لأنتقم لمرسيلليس والأمر ليس صعباً .

أرمان : اتركى مرسيلليس إلى الموت الذى أوصلته إليه .

باولا : لا تتهرب فأنتمـا قاتلاه فهى قتلته وأنت قتلته . هى من غرورها عندما ظنت أنها فاضلة وأنت بشرف الرجل النبيل كلا كما قتل هذا الرجل وأنتمـا تبحثان عن مأساة فى حين أنكما غارقان فى مهزلة ولكنكما لن تستطيعا تبادل النظرات عندما قلت لها ما يجب أن أقول .

أرمان : اخرجى من هنا وإلا أخرجتك بالقوة .

هذه المرأة مجرمة يا أرمان لولاها لظللت سعيداً معى معتزًّا بى إنها لم تفهم شيئاً ، إنها غدرت بى دون أن تدرى أن هذا الغدر هو الذى جعلنى مذنبة ، لقد اتخذت حياتى أشكالاً مختلفة ولم أكن

قبلها ولا توجد امرأة مثلها إنها قد جمدت جسمها وعواطفها . نصفها كتلميذة ونصفها الآخر كساحرة مثيرة لك ولزوجها ولمرسيلليس فى وقت واحد ، لقد أحببتك بالأمس يا أرمان وكنت عزيزاً علىّ أكثر من أى إنسان فى العالم لقد كان لى عشاق كثيرون ولكنهم كانوا جميعاً بعيدين عنا نحن الاثنين بعيدين عن الحب الذى يكنه بعضنا لبعض وكلنا كذلك فيما عدا لوسيل التى لم تعط موهبة النسيان ولا القدرة على تناسخ الأرواح . . لقد أحببتك كاملاً وبإخلاص بكل وجودى الذى ينتمى إليك .

لوسيل : كل ما تقوله هذه المرأة كذب فليست كراهيتها لى لأننى فضحتها أمام نفسها إنها تعتقد أن حياتها المنحلة هى خفة دم أو خفة روح وتعتقد أن كل سفالة ترتكبها هى زهرة من زهرات شبابها وجمالها وكلما تقدمت بها السن فستزداد يقيناً مما تفعل وأن ماضيها القذر سيبدو سليماً كريماً ولكن قد أحال هذا كله إلى مستنقع من الأعشاب . . والقذارة .

باولا : يؤسفنى أن أخيب ظنك يا لوسيل إنى أعطيك ماضى كله وأنت الآن تنتمين إلى جيش من النساء ترفضين الاعتراف به بل إنك الآن ترفضين الاعتراف بنفسك وهذا هو انتقامى ، فهذا التغير الذى طرأ عليه والذى أسعد أرمان ، هذا الشحوب هذا الشجن هذا الهدوء هذا التغيير الواضح من زوجة حريصة لأحد القضاة إلى زوجة خائفة تسلط عليها حكم قاس . . هذا الحكم لم يصدر من أحد سواها . . استمع لى يا أرمان صحيح أنه وقع اغتصاب

ليلة أمس ولكن مارسيلليس لم يكن مسئولاً .

لوسيل : احمنى يارب . .

باولا : فالمسئول حى وموجود فى هذه اللحظة أليس كذلك يا باربيت .

لوسيل : أهذه المرأة باربيت .

باولا : جاءت لتساعدك اليوم أكثر من أمس . . جاءت لحظتها تعالى يا باربيت لقد جاءت هنا ومعها حقيقة سوف تفزعك .

أرمان : ما هذا يا باولا .

باولا : لم يحدث أن دعا مارسيلليس أحداً من أصدقائه إلى حفلة ماجنة ولا أن أحداً من الصعاليك قد نظر فى نافذة مفتوحة ورأى امرأة فى غيبوبة واستغل الموقف . إن انتقامى ليس بهذه السذاجة يا عزيزى أرمان سوف تقبلنى وتشكرنى على ما فعلت ولكن مدام بلانشار سيزداد عذابها ، إنها فى شك الآن من أن كرامتها ووقارها قد تخليا عنها وأنها ليست أرملة لمارسيلليس وأن جسمها الناعم المذنب النابض هو ملكها طبعاً لأن مارسيلليس لم يحتضنها بذراعيه وباربيت شاهدة على ذلك ولم يحدث اغتصاب ليلة أمس ، وهى اليوم كما كانت بالأمس عندما جلست تأكل الآيس كريم كامرأة ضيقة الأفق لم يمسسها أحد إلا زوجها الشريف .

لوسيل : ومارسيلليس لم ينطق بكلمة ! سامحنى يارب .

باولا : يداك ترتعشان يا لوسيل إنه ليس العار من أن تبدو مضحكة أى مأساة فى أن يموت شهيد وتصحو عذراء . الآن ستشعرين بأنك

فقدت السبب الوحيد بالإيمان بنفسك ولن تتحملى هذه الصدمة .

أرمان : ما هذا يا لوسيل .

لوسيل : اخرج اخرجوا جميعاً .

أرمان : لا أفهم .

باولا : ستفهم غداً . . الرجال يفهمون غداً ، هذه هى الفضيحة كاملة يا لوسيل فالاغتصاب ليلة أمس كان من عمل مدام بلانشار نفسها إنها حالة شاذة . . إنها نوع من العفة تحطم نفسها . . فقد كانت تتباهى بقدرتها على أن تخبرنا من الذى أخطأ وكيف ومتى ولكنها لم تستطع أن تخبرنا إن كان قد قبّلها أو عانقها رجل أمس . . إنها صدقت كل ما قيل لها من أنها كانت تذوب سعادة وأنها كانت تدفع مارسيلليس بعيداً عنها . . وأنها كانت تبعد ذراعيه وساقيه .

لوسيل : (**مخاطبة باربيت**) هل صحيح ماتقوله هذه المرأة ؟ .

باربيت : نعم يا مدام .

لوسيل : لم يمسسنى أحد .

باربيت : لم يمسسك أحد .

لوسيل : والعلامة التى على ذراعى .

باربيت : أنا قرصتك يا مدام وكانت برفق فى لحمك . . وكذلك العلامة التى فوق ركبتك .

لوسيل : هل جاء الكونت مارسيلليس ولو لحظة واحدة رآنى . . كيف جاء

المنديل فى يدى .

باريت : مادام باولا وضعته .

باولا : وأخذته مرة أخرى وهذه هى نهاية الفصل الأول ونحن الآن وجهاً لوجه كما كنت فى المقهى وأستطيع أن أقول لك الآن ما قلته من قبل .

أرمان : اخرجى معى فوراً . .

باولا : **(قد فقدت أعصابها)** لقد جئت فى مهمة ولابد أن أفرغ منها **(موجهة كلامها إلى لوسيل)** عندما تتطلعين إلى صديقة فى طريقها لزيارة عشيقها ، أعطيها يدك ، وعندما تعود ابتسمى لها . . وسوف تتأكدين من أن الذى لا تريدينه لن يدفع بإنسان إلى أن يعتقد أنه يرى الأشياء كما هى ، وإلى أن يرتكب جريمة . . والآن لن تستطيعى أن تقولى إننى أعرض قضيتى وحدى . . أظن أننى سمعت صوت عربة زوجك . . وهناك رجل ميت فى انتظارى ورجل بوليس فى انتظار أرمان . . ولا أحد منهما يحب الانتظار .

(يظهر ليونيل وهو يصعد الدرج بسرعة)

لوسيل : ليونيل . . أنقذنى . .

القاضى : انتهى كل شىء . . لقد أصبحت أرملة . . إن زوجك أمام الله مات تحت عينى رآنى فضحك ونطق باسمك وخرج الدم من فمه وكان اسمك فى هذا الدم ثم بصق هذا الاسم فى وجهى .

لوسيل : اسمع ليونيل .

القاضى : ورد جسمك أيضاً ولكن بعد فوات الأوان .

أرمان : استمع إليها أرجوك استمع إليها .

القاضى : أعرف ماذا تريد أن تقول إنها لم تعرف شيئاً ولم تشعر بشىء وإننى لاأزال أحتفظ بروحها المخلصة الطاهرة ولكننى اليوم زوج ولست راضياً عن هذه الكلمات البوليسية ، فالزوجة المخلصة فى نظرى هى التى لا يصبح لها وجود فى نفس اللحظة التى تلمسها يد رجل وتعرفت عليها وزوجتى هنا فى صحة جيدة وروح عالية .

لوسيل : لم أكن فى وعيى يا لونيل .

أرمان : ماذا تقولين يا لوسيل ؟

القاضى : لم تكونى فى وعيك هذا أسوأ لقد خدعتنى إذن بشىء أعمق من المرأة التى أعرفها فى وضح النهار تكلم وتدبر البيت وتشترى . . المرأة الواعية التى يعرفها كل إنسان لقد خدعتنى بهدوئها الليلى وشحوبها ونومها العارى وهو كل ما يطلبه رجل معتز بزوجته عندما يكون على سفر اخرجى يا لوسيل واتركى هذا البيت .

لوسيل : لا داعى لأن تطلب منى ذلك سأخرج .

أرمان : استمع إلى الحقيقة يا لونيل .

لوسيل : ولا كلمة يا أرمان هل تسمعنى ؟ ولا كلمة !

القاضى : اخرجى من هنا وكفى تمثيلاً لدور الضحية ليس أسهل من أن يكون الإنسان ضحية ، هذه امرأة لا تشرب النبيذ ولكنها لا تستطيع أن تحمى نفسها من تناول السم ، هذه امرأة لم تفقد منديلاً أو مفتاحاً ولكنها فقدت نفسها وفقدت كل شىء صنعت منه شرفى وسعادتى من رأسها إلى قدميها كل ذلك أراقته تحت

قدمى مارسيلليس .

أرمان : استجوب هذه المرأة يا لونيل .

القاضى : خمس سنوات قضيتها أحمق مع هذه السيدة أطرى فضيلتها وأحترم رأيها وجسمها وكم أضعت من أيام فى التفكير بينما فاز مارسيلليس بكل شىء .

لوسيل : انتهى كل شىء .

أرمان : استمع إلىَّ أرجوك هذه باربيت لقد حملت لوسيل إلى بيتها أرجوك اسألها .

القاضى : وهل كنت هناك ؟ .

باربيت : نعم . .

القاضى : إننى أصغى إليك .

باربيت : لقد خلع ملابسها .

أرمان : ما هذا الذى تقولين ؟ أنت كاذبة .

باربيت : إننى أقول ما هو مطلوب منى أليس كذلك يا مدام ؟

لوسيل : نعم ! أشكرك يا باربيت .

القاضى : وكانت فى غيبوبة ؟

باربيت : نعم شكرته وابتسم ولكن فى غيبوبة .

القاضى : وعندما خرج ماذا فعلت .

باربيت : حاولت أن تمنعه من الخروج فلفت ذراعيها حول خصره وحول عنقه ولكن فى غيبوبة .

القاضى : أهذا كل ما عندك (ويخرج)

أرمان : عد يا لونيل إنها تكذب يالوسيل يجب أن تناديه حتى يعود .

لوسيل : شكراً يا باربيت .

أرمان : (إلى باولا) لماذا تبتسمين ؟

باولا : فى استطاعة أى إنسان أن يبتسم .

باربيت : أظن أننى قد انتقمت لك يا عزيزتى وهو أخذ ما يستحقه ولن يشعر بالراحة مدى الحياة .

باولا : إذن فالحياة حلوة يا لوسيل وجميلة ألا ترينها كذلك .

لوسيل : مرعبة . . كل شيء مرعب .

باولا : ألا تزال هذه الهوة موجودة بين ما وصفته بأنه شائن وبين ما وصفته بأنه نبيل .

أرمان : لا تصغى إليها من أجل مستقبلك احتقريها .

باولا : مستقبلها ؟ أمامها نوعان من المستقبل اليوم . . الأول وهو ما تسميه الفضيلة ولا تزال عنيدة على الرغم من سقوطها وهى سوف تنهض من جديد وتمشى بمنتهى النفاق كزوجة لقاض .

أرمان : والمستقبل الثانى مستقبلك أنت أليس كذلك ؟

باولا : نعم مستقبلى . . إنه الحب ومن الحماقة ألا تقبله وعلى كل حال انتهت المعركة وانتصرت فيها والنصر هو الفضيلة الوحيدة الباقية فى العالم .

لوسيل : اركعى على ركبتيك يا باولا .

باولا : على ركبتى .

لوسيل : واطلبى العفو .

باولا : عفو من ؟

لوسيل : عفو مارسيلليس عفو أزواجنا عفو باربيت عفو الأحياء والأموات عفوى . . عفوك .

باولا : ولأى سبب .

لوسيل : لأنك قلت إن الحياة لا قيمة لها ولا صفاء فيها . .

باولا : ألا ترينها كذلك . . أى قيمة ترينها فى يوم كهذا مثلاً . .

لوسيل : اليوم رهيب لقد سخر من كل شىء وجعل كل شىء وقحاً .

باولا : اتفقنا تماماً يا لوسيل إنها هزيمة لك ولا مخرج لك منها .

لوسيل : لا مخرج منها ؟ أنت مخطئة . . إن المخرج هنا . . فى يدى ، لقد ذهبت إلى فتاة فى مثل سنى ولها نفس اسمى . . فأقسمت لى أنها عندما كانت فى العاشرة ألا تقبل الشر ، وأقسمت أن تبرهن لى على ذلك ، حتى بالموت ، وعلى أن العالم مكان نبيل وعلى أن البشر لهم قلوب صافية واليوم قد أصبح العالم خالياً رهيباً أمامها وأن الحياة ليست إلا انحلالاً صارخاً ولكن هذا لا يهم ما دامت هى حريصة على أن تحتفظ بهذا القسم .

باربيت : ماذا تفعلين لماذا تقولين هذا .

باولا : ما الذى فعلته هذه البلهاء الصغيرة .

أرمان : لوسيل

لوسيل : لا تنادينى فلا علاج لهذا . . إن جريمة آل توماس كانت تناسبنى لقد عرفت أن السم قاتل وبلا ألم وبسرعة .

لوسيل : آخر رغبة لى يا أرمان هى ألا يعرف زوجى الحقيقة دعه يصدق

ما قالته باربيت لكى يعيش يلعن امرأة بريئة وهى أيضاً كانت تلعنه ويعجب بالمرأة المذنبة التى كرهته دعه يعش أسطورة زائفة وما أكثر الأساطير . . إن الصدق هو الحمل المسكين الذى يضحى به عادة ماذا عسانى أن أفعل يا أرمان سوى أن أقوم بدور البطلة فالأبطال هم رجال يمجدون حياة لم يعودوا يمثلونها وأنا أيضاً كذلك . . هل باولا راكعة ؟ .

باولا : نعم . .

لوسيل : بل هى واقفة ولكنها قالت إنها راكعة لقد انتصرت فالعالم له صفاؤه وجماله وضياؤه قولى ذلك يا بولا أريد أن أسمعه منك قولى بسرعة .

باولا : إنه كذلك . . فى هذه اللحظة . .

لوسيل : يكفينى . . هذه لحظة تكفى أشكرك لا تدعوها تقترب منى . . باربيت هى التى تعرف تلبسنى ملابس الدفن .

(وتسقط على الأرض)

باولا : لقد كان اسمها لوكاريسيا أليس كذلك .

(أرمان يقودها إلى الخارج بينما تموت لوسيل وتخفت الأضواء وعندما تعاد الإضاءة نجد باربيت وحدها مع لوسيل) .

باربيت : عزيزتى أيتها الملاك الصغير لقد خرجوا جميعاً وفى استطاعتنا الآن أن نتكلم . لقد كان الله وحده بيننا بالأمس وكان معك منذ الأمس لو رأيت كيف نهضت من الفراش عند منتصف الليل لعرفت كل شىء ، لقد كانت معجزة تتحدث عنها كل نساء

المدينة الآن لقد رسمت علامة الصليب على صدرك أما جواربك فقد ارتفعت من تلقاء نفسها ، أما حذاؤك فقد دخل فى قدميك . لقد نصب الناس قديسين لمعجزات أقل من هذا حتى الزهور المصنوعة من الورق التى وضعتها إلى جوارك كان لها عطر الورد ، وعندما ذهبت لألمسها وجدتها زهوراً حقيقية إننى لا أكذب أقسم على ذلك ودعينى آخذ الخاتم الذى فى أصبعك للذكرى إنك اليوم أنحف من الأمس يا ملاكى إن الخاتم يخرج من تلقاء نفسه ، إن المعجزات تجعل مهمتنا صعبة فالصفاء والعفة ليستا لهذا العالم إننا نصادفهما مرة كل عشر سنوات والآن سوف يرى الناس أنفسهم بكل ما عندهم من سفالة ووقاحة فى ضوء هذه المعجزة سيقفون جامدين فى دهشة كأن مصوراً سوف يلتقط لهم صورة أو كأن الضياء تمزق أجسامهم وفجأة سيرون هذا الشر ، كيف كان مقدسا وسوف يشعرون بتأنيبه لهم . . إن ندمهم لن يطول أعرف ذلك جيداً فمع النساء فضيلة امرأة معناها فضيلة الجميع بينما نجد الرجل سيداً فى بيته وقديساً لنفسه ومطهراً لجسمه أيضاً أفعى فى طريقك . . لقد فهمناك جميعاً وباولا كأى إنسان آخر من المؤكد أنك أغضبتنى ولكن ليس مارسيلليس الذى اغتصبك فى استطاعتك أن تتغلبى على هذا الموقف . . فخمسون امرأة قد فعلن ذلك من قبل وأنت تعرفين أنك قادرة ولكن الذى أسقطك هو شعورك بغباوة الرجل وخشونته ووقاحته وبصورة مفاجئة . . إن البروش الذى فى صدرك ينحل من تلقاء

نفسه معنى ذلك أنك تعطينه لى وسوف آخذه . . بقيت هذه العلامة من فمى العجوز وأنت مطالبة بشرحها فى السماء فلا تفكرى فى ذلك كثيراً اكشفى عنها واشرحى أنها قبلة لكل النساء من عجوز فى بلدتنا كوعد منها ومن كل أخواتها بأننا لن نريح الرجال لا فى عملهم ولا فى نومهم لا الشبان ولا الشيوخ لا الوسيم فيهم ولا الدميم لا مدير الخزانة ولا كاتب المحكمة الذى يتجسس علينا لا راحة لهم فى صحتهم ولا فى مالهم ولا فى أسرتهم ولا فى عظامهم ولكى ننتقم لك يا ملاكى الصغير سنقودهم جميعاً إلى اللعنة الأبدية . . آمين . .

« ينزل الستار »